شرح موجز البلاغة

تأليف

الإمام الشّيخ محمّد طاهر بن عاشور رحمه الله

شرحه

محمّد أنور البدخشاني

شيخ الحديث بجامعة العلوم الإسلاميّة
علّامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

علّق عليه

محمّد شريف راشد

www.islaminsight.org

تأليف

الإمام الشّيْخ مُحمَّد طَاهِر بن عَاشُوْر رحمه الله

شرحه

محمّد أنور البدخشاني

شَيْخ الحدِيث بجَامِعَة العُلوم الإسْلاميّة
علّامه يوسف بنوري تاؤن كراتشي

علّق عليه

مُحَمَّد شَرِيْف راشِد

www.islaminsight.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح صدورنا للإسلام، وفضلنا بعلم البيان، والصلاة والسلام على رسوله صاحب الفصاحة والبلاغة، الذي تجلى البديع في قوله، وجمع المعاني في كَلِمِه، وبعد:

فلما فرغت من تأليف كتبي الثلاثة في علوم البلاغة: (١)البلاغة الصافية، تسهيل مختصر المعاني للسعد التفتازاني المتوفى ٧٩٣هـ، (٢)شرح دلائل الإعجاز للجرجاني المتوفى ٤٧١هـ، (٣)طريق الوصول إلى علوم البلاغة.- رأيت كتاب "موجز البلاغة" لعالم المغرب العربي الشيخ الإمام المفسر محمد الطاهر بن عاشور المالكي مختصرا سهلا مفيدا للمتوسطين من الطلبة، فشرحتُ بعض معانيه، ووضعتُ كلامي بين القوسين، وعَمِلْتُ له العناوينَ والتمارين. وهو أفضل من كتاب "دروس البلاغة" لمنهج الصف الرابع.

وأخيرا أذكر بالشكر والتقدير تلميذي الشيخ محب الله؛ لسعيه الجميل في التصحيح، وتلميذي الشاب محمد شريف راشد، لاعتناءه وكتابته المخطوط.

نسأل الله العليَّ البارئَ لهما السعادة، وأن يأخذ بأيديهما إلى الخير، وأن يسهل لهما في الحياة وبعد الممات.

والله تعالى أسأل أن يجعله مقبولا وميسورا، وأن يختم لي بالخير والعافية، وأن يغفر لآبائي وأمهاتي، وأن يبارك في ذريتي : أبنائي وبناتي وأولادهم، وأن يَحُفَّهم بالفضل والرحمة واليُسر، وأن يُدِيْمَ فيهم العلم والعمل والغنى، إنه ولي الصالحين.

محمد أنور بدخشاني

١٠/ رجب/ ١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

أمّابعد: حمدًا لله الّذي أنطقَ البُلَغاء، وفَضَّلَ النُّبَغاء، ومَيَّزَهُمْ عَمَّنْ "يُسِرُّ حَسْوًا في ارتغاء"[1]، والصّلوة والسلام على الْـمُرسَلِ بالحنيفية لا أَمَتَ فيها ولا شَغاء[2] وكلُّ مَن أصغى إلى دعوتِه أفضَلَ إصغاءٍ.

فإني رأيتُ طلبة العلم يُزاوِلُون علمَ البلاغة بطريقةٍ بعيدةٍ عن الإيفاءِ بالمقصود؛ إذ يَبْدَءُونَ بِمُزاولة "رسالة الاستعارات" لأبي القاسم اللّيثي السمرقندي، وهي زبدةٌ مستخلصةٌ من تحقيقات "الْـمُطَوَّل" و "المفتاح" يَحتَسُونَها[3] قبلَ إبّانها، ثمّ يتناولون "مختصر" التفتازاني قبل أن يأخذوا شيئًا من علمِ المعاني،

[1] يُسِرُّ: يُخْفِيْ. الْـحَسا: الْـمَرَقُ ونحوه. الْحُسْوُ: ١-شُرْبُ الحسا جُرْعَةً بعدَ جرعةٍ.الرَّغوة:مايعلو السائل عند غِلْيانها،ج: رُغًى. وارتغى الرّغوة: شرِبَها، معناه: يُخْفِيْ شربَ اللَّبَن في شربِ الرَّغوة.

"يُسِرُّ حَسْواً في ارتغاءِ": قال الأصمعي: وأصلُهُ الرَّجُلُ يُؤْتَى باللَّبَنِ، فَيُظْهِرُ أنه يُريد الرَّغْوَةَ خاصةً، ولا يريد غيرَها، فيَشْرَبُها، وهو في ذلك ينال من اللبن. والإرتغاء هو شرب الرّغوة.شرح كتاب الأمثال للبكري (١ / ٧٦)

[2] الأَمَتُ: العِوَجُ والعيب والشّكُّ. الشَّغا: الاعوجاج، والعَقْفُ والانحناء.

[3] الاحتساء: الشّربُ. قبلَ إبّانها وقبلَ أوانِها.

ففي ابتدائهم شَوطٌ وفي انتهائهم طَفْرةٌ[٤] —

فرأيتُ أن أضع لهم مختصرًا وجيزًا يُلِمُّ[٥] بِمُهمّاتِ علم البلاغة، ليكون لهم كالمقدَّمةِ لِمُزاولة دُروسِ "مختصر" التفتازاني، فوضعتُه وضعَ مَنْ يَقصِدُ إلى تثقيف هذا العلمِ بالمسائل النافعة المجرّدة عن المباحث الطّفيفة[٦] في فنون البلاغة الثلاثة، فإنْ هُم أَتْقَنُوهُ فَهْمًا ضَمِنْتُ لهم أن يَنْطِقُوا بلسان فصيحٍ، ويَمْلَئُوا أوطابَ أذهانِهم من الْـمَخْض[٧] الصريح.

مفهوم البلاغة لغةً: البلاغةُ (على وزن فَعَالة) مصدر بَلُغَ بضمّ اللّام كفَقُهَ، وهو مشتق من بَلَغَ (بفتح اللّام) بُلوغًا بمعنى وصل.

وإنما سُمِّيَ هذا العلم بالبلاغة لأن بمسائله وبمعرفتها يَبْلُغُ المتكلّم إلى الإفصاح عن جميع مراده بكلامٍ سَهلٍ واضحٍ، ومُشتَمِلٍ على ما يُعينُ على قبول السامع له ونفوذه في نفسه– فلمّا صار هذا البلوغُ المعنويُّ سَجِيَّةً يُحاوَلُ تحصيلها بهذا العلم صاغوا له وزن فَعُلَ بضمّ العين(بَلُغ) للدّلالة على تلك السَّجِيَّة،

[٤] شاطَ يَشوطُ شوطًا: عدا وأسرع نحو الغاية. وطفَرَ يَطْفُرُ طفْرًا: قَفَزَ، وطَفَرَ الشيءَ: قَفَزَ من فوقه وتَخَطّاهُ إلى ما وراءه. يقول: إن الطالب في البداية يسرع ويعدو ويُرِيدُ أنْ يصلَ إلى الغاية، لكنّه يقفِزُ عن المُهِمّات ويَقِفُ على المشكلات فيتعَسّر له الطريقُ.

[٥] أَلَمَّ الشيءُ: قَرُبَ، وأَلَمَّ بالشيءِ: قَرَّبَه.

[٦] التّثقيف: التهذيب، وثقّفَ الشيء: أقام المُعوَجّ منه، وسَوّاه. الطّفيف: الخسيس.

[٧] الوَطْبُ: سِقاء (وعاء) اللّبَنِ، ج: أوطابٌ. المخض: أطيبُ اللّبَن.

فقالوا: بَلُغَ فلانٌ بلاغةً، كما قالوا: ضَخُمَ ضَخَامةً، وسَمُّوا مجموعَ مسائل هذا العلمِ بمصدر (بَلُغَ) وهو البلاغة، فقالوا: "علم البلاغة"؛

فإن المتكلّمَ إذا تكلّم فإنما يكون اهتمامه بأن يَنْقُلَ ما في ضميره إلى ذهن سامعه، فالمتكلم محتاجٌ قبلَ كلّ شيءٍ إلى معرفة اللّغة التي يريدُ أن يخاطب بها من مفرداتها، وكيفية تركيبها، فإذا لم يعلم ذلك لم يكَدْ كلامُه أن يُفْهَمَ، وهذه المعرفة تحصُلُ له من العلوم الثلاثة: مِنْ علم اللغة والنحو والتصريف، فإن حاول تَكَلُّمًا بدُون هذه المعرفة كان مَثَلُه كما قال الحُطَيْئَةُ في الشعر:

"يُريدُ أن يُعْرِبَه فَيُعْجِمَه"

ولكنه إذا علم اللّغة والنحو والتصريف فيستطيع أن يُعَبِّرَ عن حاصل المراد وأصل المعنى، ولا يستطيع أن يُفْصِحَ عن تمام المراد.

مثال عدم الاستطاعة بالإفصاح عن تمام المراد: فلو أراد أن يُخْبِرَك بحضور تلميذٍ واحدٍ من تلامذة درسه، وتَخَلُّفِ الباقين، فقال لك: "حضَرَ زيادٌ" لم تفهم (من كلامه) إلا أنه أخبرك بحضور "زِيادٍ" لئلّا تكتبه مُتَخَلِّفًا، ثُمّ إذا علمتَ أن بقيّةَ التلامذة لم يحضُروا فقلتَ له: ما بالُكَ لم تُخْبِرني بعدم حضورِ أنسٍ ونافعٍ وغيرهما؟ قال لك: ألستُ قد أَخبرتُك بحضور زياد ولم أذكر لك غيرَه؟ فدَلّ بقوله ذلك على قُصوره في معرفة أداء جميع مراده، ولو أنه تنبَّهَ لزيادة البيان

لقال: حضرَ زيادٌ، لم يحضُرْ أنس، لم يحضُرْ نافعٌ، لم يحضُرْ زُهَيْرٌ، وأخذَ يُعَدِّدُ بقية التلامذة، أو استعان بحركة يده فقال لك: حضر زِيادٌ، ثم ضرب بِيَدَيه كالنّافضِ لهما؛ كأنه يُشِيْرُ إلى معنىً فقط، فحينئِذٍ أدّى جميعَ مُراده، لكن بعبارةٍ غير سهلة ومع إشارة–

فإذا كان قد علِمَ الكيفيةَ الخاصّة للتّعبير عن هذا المراد، وهي أن يقول: "ماحضر إلا زيادٌ" كان قد بلغ إلى أداء جميع مراده بكلامٍ سهلٍ.

وكذا إذا أراد أن يُخبرك عمّا أبلاه عَنْتَرَةُ من الشَّجاعة والفَتْك في يومٍ من أيّامه فجعل يقول: قتلَ فلانًا وجرَحَ فلانًا، وضربَ الفرسَ فأَدْمَاهُ وهَرَبَ راكبُه، وسَبى نساءهم وحَطَمَ مُشاتَهم، فإنّه قد دَلَّكَ على جَميع مراده بعبارةٍ غير واضحة في الدّلالة على جميع المراد؛ إذ قد يَعِيْه العدُّ.

فإن هو قال لك: "كان عَنْتَرَةُ يومئذٍ أسدًا" فقد دَلّكَ على جميع المراد بكلامٍ واضحِ الدّلالة عليه، ولمّا كانت الكيفيات المذكورة لا تقع إلا في كلامٍ هو خاصّة لأهل اللّسان العربيّ سمّوها بالخصوصيات نسبةً إلى الخصوص وهو ضد العموم الذي هو معنى الجمهور، وتسمى تلك الكيفياتُ بالنُّكَتِ أيضًا.

-تعريف علم البلاغة-: فالعلم الباحثُ عن القواعد التي تُصَيِّرُ الكلامَ دالًّا على جميع المراد وواضح الدّلالة عليه يُدْعى علم الكلام .

ثم إنّ هناك مُحَسِّناتٍ للكلام متى اشتمل عليها اِكتَسَبَ قبولا عند سامعه.

ولما كان حسنُ القبول يَبْعَثُ السامع على الإقبال على الكلام بِشراشره، وكان في ذلك عونٌ على إيفاء جميع المراد جعلوا تلك المُحَسِّناتِ اللّفظيّة من لواحق مسائل هذا العلم، سواءٌ كان حسنُها عارضًا لِلّفظ من جهة موقعه المعنويّ، كالمطابقة في قول أبي صَخْرٍ الهُذَلِيِّ:

أما والذي أبكى وأضحك والّذي

أماتَ وأحيى والذي أَمْرُه الأمرُ

أم كان حسنُها عارضا له من جهة تركيب حروفه كالجناسِ في قول الحريري:

سِمْ سِمَةً تُحمَدُ آثارُها

والشكرُ لِمَنْ أعطى ولو سِمْسِمةً

فكلها تُسمى المحسّنات وتوابع البلاغة ويُلَقّبونها بالبديع.

فانحصر علم البلاغة لذلك في ثلاثة فنونٍ:(المعاني والبيان والبديع).

١ – فنّ المعاني

أهمّية علمِ المعاني ومسائله: وهي المسائل التي بمعرفتها يستطيع المتكلم أن يُعَبِّرَ عن جميع مراده بكلام خاصٍّ، ويسمى علم المعاني؛ لأن مسائله تُعَلِّمُك كيف تُؤَدِّيْ معاني كثيرةً في ألفاظٍ قليلةٍ، إمّا بزيادة لفظ قليل يدُلُّ على معنى حقُّه أن يؤدَّى بِجُمَلٍ: مثل صيغة (إنما) في الحصر، وكلمة (إنَّ) في التأكيد وردّ الانكار معًا، وإمّا بأن لا يزيدَ شيئًا، ولكنّه يُرَتِّبُ الكلامَ على كيفيةٍ تُؤَدِّيْ بذلك الترتيب معنىً زائدًا، مثل تقديم المفعول والظرف لإفادة الحصر في نحو: اللهُ أحدٌ، وإيّاك نعبدُ.

وهذا الفنّ (فنّ المعاني) هو مُعَظَّمُ علم البلاغة.

٢–فنّ البيان

وأما فن البيان: فهو المسائل التي بمعرفتها يُعرَفُ وضوح الدّلالة على المراد، كقولك: عَنْتَرَةُ أسدٌ، وحاتِمٌ كثير الرّماد.

٣–فن البديع

وأما فن البديع فهو المسائل التي تبحثُ عن الْـمُحَسِّنات اللفظية أو المعنوية كما تقدّم.

تعريف علم البلاغة اصطلاحًا:

هو العلم بالقواعد التي بها يُرفَفُ أداء جميع المراد بكلامٍ ذي أساليبَ خاصّةٍ واضحةٍ، مع ما يُعينُ على قبول ذلك الكلام.

وذلك بتوفيةِ خواص التراكيب حقّها، وبإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، وإيداع المحَسّنات بلا كلفةٍ مع فصاحة الكلام.

تأريخ نشأة علم البلاغة وتَطَوُّرُه:

كان هذا العلم (علمُ البلاغة) منشورا في كتب تفسير القرآن عند بيان إعجازه، وفي كتب شرحِ الشعر ونقده، وفي محاضرات الأُدَباء من أثناء القرن الثاني من الهجرة: فألَّفَ أبوعبيدة مَعْمَرُ بنُ الْـمُثَنّى(١١٢ - ٢٠٨هـ) كتابَ "مجاز القرآن".

وأَلَّفَ الجاحظُ عمرو بن بحر(١٦٣ - ٢٥٥ هـ) كتُبًا كثيرة في الأدب والبلاغة، وكان بعض من هذا العلم منشورا أيضًا في كتب النحو، مثل كتاب سيبويه، ولم يخصَّه بالتّاليف إلا في أواخر القرن الثالث (الهجري).

وألّف عبدُالله بن المعتزّ الخليفة العبّاسيّ (المولود سنة ٢١٧هـ والمتوفى ٢٩٦هـ، بعد أن بويعَ له بالخلافة، ومَكَثَ يومًا واحدًا خليفةً) كتابًا في البديع، أودَعه سبعة عشر نوعًا، وعَدَّ الاستعارة في الْـمُحَسّنات.

ثم جاء الشيخ عبدالقاهر الجرجاني الأشعري الشافعي المولود في المتوفى سنة ٤٧١هـ فأَلَّفَ كتابَيهِ(١-دلائل الإعجاز، ٢-وأسرار البلاغة) الأول في علم المعاني والثاني في علم البيان.

وكانا أولَ كتابين مَيَّزا هذا العلم عن غيره، ولكنهما كانا غيرَ مُلَخَّصين ولا تامَّي التّرتيب، فهما مثل دُرَرٍ متناثرةٍ كنَزَها صاحبها، ليُنَظِّمَ منه عِقْدًا عند تأَخِّيه.

ثم جاء سراج الدين يوسف بن محمد بن عليّ السّكاكي الخوارزمي المعتزلي المولود سنة ٥٥٥هـ والمتوفى ٦٢٦هـ، فنَظّمَ تلك الدُّرَر، فأَلَّفَ كتابه العجيب المسمّى بـ "مفتاح العلوم" في العلوم العربية، وأودعَ القسم الثالثَ منه (الذي هو المقصود من التأليف) مسائل البلاغة، فَدَوَّنَها على طريقةٍ علمية صالحة للتّدريس والضبط، فكان الكتاب الوحيد الذي اقتبسه من كتابي الشيخ عبدالقاهر ، ومن مسائل "الكَشّاف" في تفسير القرآن الكريم للزّمخشري، فأصبح عمدة الطالبين لهذا العلم، وتتابع الأدباء بعده في التّآليف في هذا العلم الجليل.

التمرين

(١)أُذْكُرْ مفهومَ البلاغة لغةً؟ ولماذا عَبّروا عن مصدره بالبلاغة المأخوذة من "بَلُغَ".

(٢)إلى أيّ علمٍ يحتاج طالبُ علمِ البلاغة؟

(٣)اذكر مثالَ عدم الاستطاعة بالإفصاح عن تمام المراد؟

(٤)بِمَ سمّوا الكيفيات المعبرة البلاغية؟

(٥)عرّف علم البلاغة مثلَ ما عَرَّفه العلّامةُ ابن عاشور؟

(٦)أكتب أَهَمِّيَّةَ علم المعاني وأَشِرْ إلى مسائله؟

(٧)اذكر مسائل علم البيان وعلم البديع إجمالًا؟

(٨)اكتب أسماءَ الكتب الأساسية في علم البلاغة؟

الفَنّ الأوّل- المعَانِيْ

تعريف علم المعاني:

هو علم يُعرَفُ به أحوال اللّفظ العربيّ التي بها يكون المتكلم بليغًا فصيحا في إيراد الكلام وتركيبه، أي: تُعْرَفُ أحوال الألفاظ المفردة والمركبة ليكون الكلام فصيحا أولًا وبليغا ثانيا.

تعريف الفصاحة:

الفصاحة هي سلامة الكلام ممّا يُعَدُّ عيبًا في اللغة:بأن يَسْلَمَ من عيوبٍ تعرِضُ للكلمات التي يتركب منها الكلام، أو تَعْرِضُ لمجموع الكلام.

العيوب العارضة للكلمات (المفردة) ثلاثة: ١-الغرابة، ٢-وتنافر الحروف، ٣-ومخالفة القياس التصريفي.

و العيوب العارضة لمجموع الكلام (كُلًّا أو جُزءًا) ثلاثة أيضًا: ١-التّعقيدُ(لفظًا كان أو معنىً) ٢-وتنافر الكلمات، ٣-ومخالفة القواعد النحوية، ويسمّى ضعف التأليف.

تعريف الأمور الستة: (١)تعريف الغرابة: وهي قلّةُ استعمال الكلمة في مُتَعارَف أهل اللغة، أو تناسيها في متعارف الأُدَباء، مثل "السّاهور" اسم

الهلال، و "تَكَأْكَأَ" بمعنى اجتمع، و "افرنقَعَ" بمعنى تَفَرَّقَ، في قول أبي علقمة (أحدِ الموسوسين) وكان أصابه صَرْعٌ، فاحاطت به الناسُ، فقال: مالكم تَكَأْكَأْتُم عليَّ كما تَكَأْكأُونَ على ذي جِنَّةٍ اِفْرَنْقَعُوا[٨].

(٢)تعريف تنافر الحروف: وأمّا تنافر الحروف، فهو ثِقْلٌ قوِيٌّ في النّطق بالكلمة؛لاجتماع حروفٍ فيها يحصِلُ من اجتماعها ثِقْلٌ، نحو " الهعخع (نَبْتٌ ترعاه الإبل، كما روي أن أعرابيا سُئِلَ عن ناقته فقال: تَرَكْتُهَا ترعى الهعخعَ[٩])

وأَقَلُّ منه في الثقل مُسْتَشْزِرَاتٌ بمعنى مرتفعات، كما في قول امرئِ القيس: "غدائره مستشزرات إلى العُلا".

وأما الثقل الذي لا يضجر اللسانَ فلا يَضُرُّ، نحو أمدَحُه أمدَحُه، ونحو سبِّحْهُ، وقول زُهيرٍ: "ومَن هابَ أسبابَ المنايا يَنَلْنَه".

(٣)مخالفة القياس التّصريفي:هو النطق بالكلمة على خلاف قواعد التصريف، كما في قول الشاعر "الحمدُ لله العليّ الأجلَلِ" (بِفَكِّ الادغام، فإن القياس "الأَجَلّ" بالادغام)، أو كقول القائل: في الفعل الماضي (من البيع)

---

[٨]وروى عيسى بن عمر النحويُّ أنه سقط عن حمارٍ فاجتمع عليه النّاسُ فقال: ما لكم تكأكأتم عليَّ تَكَأْكُؤَكُم على ذي جِنَّةٍ اِفْرَنْقِعُوا عنّي. الإيضاح (١ / ٨)

[٩] أيضًا(١ / ٨)

"بَيَعَ" مكانَ "باعَ" لجهله أن حرفَ العلة إذا كان متحركًا وما قبله مفتوحٌ يقلب ألِفًا.

(٤) وأما التّعقيد: فهو عدمُ ظهور دلالة الكلام على المراد لاختلاف في نظمه، ولو كان ذلك الاختلاف حاصلا من مجموع أمور جائزة في النحو، كقول الفرزدق (يمدحُ إبراهيمَ بن هشام المخزوميَّ خالَ الخليفة هشام بن عبدالملك:

وما مثلُه في النّاس إلا مُمَلَّكًا   أبو أمِّه حَيٌّ أبوه يقاربه

والمعنى: وما مثلُه في الناس حَيٌّ يقاربُه أي: في المجد، إلا ملِكًا أبو أمِّه أبو هذا الممدوح، فشَتَّتَ أوصالَ الكلام (ضمائره) تَضَلُّ فيه الأفهام. (وكان حقُّه أن يقول:

وما مثلُه في الناس حَيٌّ يقاربُه   إلا مُمَلَّكٌ أبو أمِّه أبوه

(٥)وأما التنافر: فهو ثقل الكلمات عند اجتماعها حين تجتمع حروف يعسُر النطق بها، نحو قول الراجز الذي لا يُعْرَفُ:

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرٍ   وليس قرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرٌ

فكل كلمة منه لا تنافر فيها، وإنما حصل التنافر من اجتماعها، حتى قيل إنه لا يَتَهَيَّأُ لأحدٍ أن يَنْشُدَ النّصف الآخر ثلاث مرّات متوالياتٍ فلا يَتَلَعْثَمُ لسانه.

(٦)وأما مخالفة القياس النحويّ: فهو عيب كبير؛ لأنه يصير الكلام خالفا لاستعمالات العرب الفصحاء، فهو يعرِضُ للمُوَلّدين، والمراد منه مخالفة ما أجمع النّحاةُ على منعه، وأما القول بجوازه فكان ضعيفًا، و وُرودُه في كلام العرب شاذ، نحو تعريف "غيرُ" في قول كثير من طلبة العلم، يقولون: "الغير" معرَّفًا باللّام، ونحو تقديم التّأكيد على المؤَكّد في قول الْـمَعَرِّيّ:

تَعِبَ كلُّها الحياةُ فما أعْ   جَبُ إلا من طامعٍ في ازدياد

وكذلك كلُّ ما جوّزوهُ في ضرورة الشعر إذا وقع شيء منه في النثر ضعيف في غير الضرورة.

فضعف التأليف عيب لا يوجِبُ إبهام المعنى بخلاف التعقيد.

التمرين

(١)ماهي الأمور الستة التي تُخِلُّ بالفصاحة والبلاغة؟

(٢)اذكر الأمور الستة وعَرِّف كل واحد منها.

(٣)ما معنى القياس التصريفي والقياس النحوي؟

(٤)مَثِّلْ لمخالفة القياس التصريفي والقياس النحوي.

(٥)لماذا اِسْتَشْهَدَ بقول الشاعر:

وقَبْرُ حَرْبٍ بمكانٍ قَفْرٍ   وليس قرْبَ قَبْرِ حربٍ قَبْرٌ

تعريف البلاغة وبيان لوازمها

البلاغة هي اشتمال الكلام على أحوال خاصَّةٍ تُستَفَادُ بها معانٍ زائدةً على أصل المعنى بشرط فصاحته، مثال تلك الأحوال: كاشتمال قوله تعالى: {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} [يس : ١٤] على حالةٍ خاصّةٍ، وهي التأكيد بـ "إنّ" لإفادة معنىً زائدٍ، وهو توكيد الخبر لأجل إبطال تَرَدُّدِ المخاطبين فيه ، وذلك أمر زائد على أصل المعنى، وهو الإعلام بكونهم رُسُلًا، والحال أنه يكفي لإفادته أن يقال: أُرْسِلْنا إليكم" أو " نحنُ إليكم مرسَلون".

وتسمى هذه الأحوالُ الخاصّة بالنُّكَتِ وبالخصوصيات، وهي تكثُر وتقع في الكلام بحسَبِ وجود الدّواعي والمقتضيات من كثرة وقلة، كالأدوية؛ فإنها تشتمل على عقاقيرَ كثيرةٍ تارةً وقليلة أخرى، بحسب ما يحتاج إليه المزاج لإصلاحه.

وكذا انظر قولَه تعالى: { هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [الحديد: ٩] فتجد في قوله تعالى { يُنَزِّلُ} خصوصيتين: إحداها التعبير بـ " التفعيل" الدال على التكرير، والثانية التعبير بصيغة المضارع الدّالّة على التجدّد والاستمرار؛ لأن التّبشير بزيادة الإخراج من الظلمات إلى النّور يومًا فيومًا وفي كلِّ حالٌ.

وانظر قولَه تعالى في الآية الأخرى: {نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ} [آل عمران: ٣] فلا تجد في نَزَّلَ إلا خصوصية واحدةً، وهي التعبير بباب التفعيل وصيغة "فَعَّلَ"، لأن المقام للامتنان، والامتنان يكون بما وقع لا بما سيقع.

والبليغ في إتيانه بهذه الأحوال في كلامه يراعي أحوالَ المخاطبين ومقاماتِ الكلام، فلا يأتي بنكتةٍ وخصوصية إلا إذا رأى أنْ قد اقتضاها حالُ المخاطب واستدعاها مقام الكلام.

أنواع الكلام باعتبار الاعجاز كثرةً وقلةً:

وبمقدار تفاوت المتكلمين في تَنْـــزِيل تلك الأحوال على مواقعها يتفاوت الكلام في مراتب البلاغة:

(١)إلى أن يصل إلى حدّ الإعجاز الذي يعجُزُ البشرُ عن الإتيانِ بمثله، وهو الذي أُخْتُصَّ به القرآن المُنَزَّلُ من حكيم حميد في جميع آياته.

(٢)أو إلى حدٍّ قريب منه، وهو الذي أُخْتُصَّ به نوابغُ بُلَغاء العرب، مثل امرئِ القيس والنّابغة والأعشى وسَحبان في أكثر كلامهم.

وبما أن البلاغة كانت يَتَّصِفُ بها الكلامُ باعتبار إفادته عند التركيب والإسناد-فلا جرم أنْ كان مِلاكُ الأمر فيها راجعًا إلى ما يَتَقَوَّمُ به الإسناد،

وكذلك كيفيات الإسناد والمسند إليه، والمسند، ثم تتفرّعُ البلاغة في متعلقاتها من المعمولات وأحوال الجُمَل.

وسيجيءُ كلُّ نوعٍ من ذلك في بابه.

التمرين

(١)اذكر تعريف البلاغة، وما يلزمها من الأحوال والأمثال.

(٢)بَيِّنْ الآيات التي فيها بيان أمثلة أحوال البلاغة وعوارضها.

(٣)ما هو اسم تلك الأحوال والخصوصيات؟

(٤)ماذا يريد المتكلم في إيراد تلك الخصوصيات؟

(٥)كم قِسمًا للكلام باعتبار قوّة الإعجاز وضعفه؟

(٦)وبماذا حصلت الخصوصية لنوابغ بلغاء العرب؟

(٧)أُذكر أسماء بعض هؤلاء النوابغ في الشعراء؟

باب الإسناد

تعريف الإسناد: هو ضَمُّ كلمةٍ إلى أخرى ضمًّا يُفيدُ ثبوتَ مفهوم إحدى الكلمتين لمفهوم الأخرى، نحو حاتِمٌ كريمٌ (في الإسناد الخبري) وأكرِمْ حاتمًا (في الإسناد الإنشائي) أو انتفاء أحد المفهومين عن الآخر، نحو ما خالدٌ جَبَاناً، ولا تقاتِلْ زيدًا، فيَعُمُّ الإسناد الخبري والإنشائي.

وما يجري مجرى الكلمة، نحو الضمير المستتر والجملة الواقعة خبرا حكمها حكم الكلمة.

واعلم أن المصنف الطاهر نَقَّحَ تعريف الجمهور للإسناد وأتى بتعريف ينطبق على الخبر والإنشاء، ولذلك لم يذكر في التعريف لفظ الحكم، بل قال: يفيد ثبوت مفهومٍ لمفهوم آخر؛ لأنه يكون في الإنشاء ثبوت وانتفاء بدون الحكم.

فالكلمة الدالة على المحكوم عليه تُسمّى مسندًا إليه، والكلمةُ الدّالّةُ على المحكوم به تسمى مسنَدًا، والحكم الحاصل من ذلك المجموع يسمّى إسنادًا، خبريًّا كان أو إنشائيًّا.

ولكلٍّ من المسند والمسند إليه والإسناد عوارض و أحوالٌ بلاغية تختصُّ به.

١-عوارض الإسناد وأحواله:

وقد شاع أن الإسناد من خصائص الخبر، ولذلك كثُرَ أنْ يَصِفوه بالخبريِّ، بناءً على أنّ مثلَ الأمر والنهي والاستفهام (وغيرها من أقسام الإنشاء) لا إسناد فيه.

والتحقيق أن الإسناد (بمعناه اللغوي) يَثْبُتُ للخبر والإنشاء (كليهما)؛ فإنَّ في الجُمَلِ الإنشائية (أيضًا) مسندًا ومسندًا إليه(وبينهما إسنادًا) فالفعل في قولك-: "أَكْرِمْ صديقَك"، -فيه مسندٌ والضمير المستترُ فيه مسندٌ إليه.

-قصد االـمُخْبِرِ من خبَرِه عند البُلَغاء:

واعلم أن القصد الأول للمُخبِرِ من خبره:

(١)هو إفادة المخاطب الحكمَ، وقصد المتكلم بالجملة الإنشائية إيجادُ مدلول الإنشاء، ففي الأمر يقصِد المتكلم إيجادَ المأمور به، ويُسمّى (ذلك الإيجادُ) الامتثالَ، وفي النهي يقصِدُ المتكلم عدَمَ إيجاد الفعل، ويُسمّى الاجتناب والانكفاف، وفي الاستفهام يقصِدُ الجواب بالإفهام، وهكذا في باقي الإنشاءات.

(٢)وقد يخاطِبُ (المتكلمُ) بالخبرِ مَنْ يعلمُ مدلولَه، ويخاطِبُ بالإنشاء من حصل منه الفعل المطلوب (من الامتثال بالأمر، والاجتناب بالنهي) فيُعْلَمُ أن المتكلم قصَدَ تَنْـــزِيلَ الموجود مَنْزِلة المعدوم؛:

١- لِنكتةٍ قد تتعلّقُ بالمخاطب: (١)إما لعدم جريِ العالم على موجب علمه (عدم عمله بعلمه) كقول عبدِ بني الحسحاس[1]: "كفي الشَّيْبُ والإسلام للمرء ناهيًا"؛ فإن المقصود منه تذكير من لم يَزَعْهُ الشَّيْبُ والإسلام؛ إذ علِمَ كلُّ النّاس أنهما وازعان(مانعان).

(٢)وإمّا لأنّ حالَه كحالِ ضدِّه، كقولك للتّلميذ الذي بين يديك إذا لم يُتْقِنِ الفهمَ: "يافتى"! ؛ فإنك تطلبُ بهذا النّداء إقبالَه، وهو حاضرٌ، لأنه كالغائب.

---

[1] واسمه سُحيم، والقصيدة في أمالي المرزوقي(١/ ٦٨) قال الأصبهاني: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: أنشد سُحيم عمرَ بن الخطاب قولَه:

عُميرةَ ودِّعْ إن تجهَّزتَ غاديا   كفى الشيبُ والإسلامُ للمرء ناهيا

فقال عمر: لو قلتَ شعرَكَ كلَّه مثل هذا لأعطيتُك عليه .الأغاني(٢٢ / ٣٠٧)

وقال له أيضاً: لو كان شعرك كله هكذا لأحسنتُ جائزتَكَ.

(٣)وإمّا لقصد طلب الزّيادة من الفعل، نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ} [النساء : ١٣٦]، فطلبَ منهم الإيمان بعد أن وصفهم بالإيمان، لقصد الزّيادة والاستمرار فيه.

(٤)وإما لاختلال الفعل، حتى أن فاعله غيرُ مُجِدٍّ في ذلك الفعل، مثل قوله صلى الله عليه وسلم (للذي رآه يُصَلِّيْ يَنْقُرُ نَقْرَ الدِّيكِ): صَلِّ فإنك لم تُصَلِّ". وهذا كثير في كلام البُلغاء.

٢-أو لنكتة تتعلقُ بالمتكلم نفسِه، لِيُرِيَكَ أنه عالمٌ بالخبر، كقولك لصاحبك: "سهرتَ البارحةَ بالنّادي"، أي: علمْتُ أنك لم تَنَمْ في البارحة.

وكقول عَنْتَرَةَ[1]:

إن كنتِ أزمَعْتِ الفراق فإنما زُمَّتْ ركابُكم بليلٍ مُظْلِمٍ

أي: أعلَمُ أنكِ لا تستطيع الفراق، لأن زِمامَ ركابِكِ مشدود بليلٍ مظلمٍ.

وعلامة هذا (أي علامة أن المتكلم يعلمُ الخبرَ) أن يكون الكلام دالًّا على أن المخاطب لايجهلُ الخبرَ؛ فإنك إذا حَدَّثْتَه عن أحواله فلا تقصدُ أن تُعْلِمَهُ بما هو معلوم لديه، (وإنما تريدُ أن يَعْلَمَ أنك عالمٌ به أيضا).

[1] الأغاني "أخبار جميلة" غناء ابن سُريج في مجلسها(٨/ ٢٢٣). وزُمّتْ: شُدَّتْ.

-مراتب الكلام باعتبار المؤكِّداتِ وعدَمها-:

للكلام مراتب وأنواع باعتبار قوة الإثبات والنفي (أي باعتبار قوة المؤكِّدات وضعفها) بِحَسْبِ قدر الحاجة في إقناع المخاطب.

١-إن كان المخاطب خاليَ الذّهن من الحكم ومن التّرَدُّد له فيه —فلا حاجة إلى تقوية الكلام بِمُؤَكِّدٍ.

٢-وإن كان المخاطبُ مُتَرَدِّدًا في الحكمِ فالأحسن أنْ يُقَوَّى له الكلام بِمُؤَكِّدٍ، لئَلَّا يصيرَ تَرَدُّدُه إنكارًا، كما في قوله تعالى: {فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُمْ مُرْسَلُونَ} (يس : ١٤)؛ لأن النّاس كَذّبوا الرّسولَينِ الأَوَّلَيْنِ فلما عُزِّزا بثالثٍ كان القوم بحيث يَتَرَدَّدون في صدقِهم.

٣-وإن كان المخاطب مُنكِرًا (للحكم) وجبَ توكيد الخبر على قدر الإنكار، نحو قوله تعالى: { رَبُّنا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ} [يس : ١٦] ونحو قوله تعالى: {إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ} [هود : ٢٥]

ويسمى الضرب الأول (كلامًا) ابتدائيًّا والثاني طَلَبِيًّا والثالث إنكاريًّا.

أدواتُ توكيدِ الْـجُمَل:

وأدَواتُ (حروفُ) التوكيد على قسمين: الأول للتوكيد في الأسماء،

وهي: "إنَّ" و "أنَّ" ولام الابتداء، ولام القسم، والقسم (نفسُه) والحروف الزائدة، وحروف التنبيه، وضمير الفصل، و"إنْ" النافية.

والثاني للتوكيد في الأفعال وهي: "أمّا" الشرطية ونونَي التوكيد.

وقد يُنَزَّلُ المخاطب بِـمَنْزلة (غيرِ المترَدِّد أو المنكِر أو غيرهما لِنُكتَةٍ، فيُسَمَّى ذلك (التَّنْزِيلُ) إخراجَ الكلام على خلاف مقتضى الظاهر.

كقول طرفة[1]: لَعَمْرُكَ إِنَّ الموتَ مَا أَخْطَأَ الفَتَى

لَكَالطِّوَلِ الْـمُرْخَى وثِنْيَاهُ بِاليَدِ

---

[1] قال الدِّيْنوَريُّ في المعاني الكبير(١ / ٢٩٢):الطِّوَلُ: الحبل، الثِّنْيُ: طرف الحبل، وثِنْيَا الحِبْلِ: طرَفاه، والجمع الأثناء. يقول: الموت مثل حبلٍ أُرْخِيَ وثِنْيَاهُ(أي طرَفاه) في يد المرخِيْ متى شاءَ جرَّهُ.

وقال الزوزني: الطِّوَل: الحبل الذي يُطَوَّلُ للدابة فترعى فيه. الإرخاء: الإرسال، يقولُ: أُقْسِمُ بحياتك أن الموت في مدة إخطائه الفتى، أي: مجاوزته إياه، بمنزلة حبلٍ طُوِّلَ للدابة ترعى فيه وطرفاه بيد صاحبه، يريد أنه لا يتخلص منه، كما أن الدابة لا تفلت ما دام صاحبها آخذًا بطرفي طِوَلِها، لما جعل الموت بمنزلة صاحب الدابة التي أرخى طولها، قال: متى شاء الموت قاد الفتى لهلاكه، ومن كان في حبل الموت انقاد لقَوْدِه.(شرح المعلقات"معلقة طرفة"(ص ١١١) رقم البيت (٦٧)

فأتى الشاعر بثلاث مؤكِّداتٍ: القسَمُ، و "إنّ" ولام الابتداء؛ لقصد الرّد على من كان حاله في لومه إياه على الكرم وتناول اللّذات كحال من يُنْكِرُ إدراك الموت إيّاه، مع أنّ مجيء الموت(ولو بعد طول العمر) أمرٌ معلوم لكّلِ أحدٍ.

وقد يجيء بـ "إنّ" لمجرّد الاهتمام بالخبر دون إنكارٍ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ مِنَ الشِّعْرِ لحكمةً". و "إنَّ مِنَ البيانِ لَسِحْرًا" .

ومن الأمر الموجب لتوكيد الخبر بـ "إنّ" لمجرد الاهتمام:

(١)أن يكون في الخبر غرابةٌ كهذا المَثَل: "إن البُغاثَ بأرضنا تَسْتَنْسِرُ"[١]

(٢)أو يكون ذلك التوكيدُ للتهويل والتخويف: كما في قوله تعالى: {وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ} [هود : ٣٧]

لأن شأن هذين النوعين (الغرابة والتهويل) أن يُنْكِرَهما السامعُ، فيُؤَكَّدُ له من حصول الإنكار احتياطًا، تنزيلا له منزلة المنكر.

[١] البُغاث: طائر ضعيف، بطيء الطيران. والنَّسْرُ: طائر حادُّ البصر قويٌّ، من رتبة الصَّقريات، هو أكبر الجوارح حَجمًا، له منقار معقوف مذَبَّبٌ ذو جوانبَ مُزَوَّدة بقواطع حادّة، سريع الخُطى.ومعناه: مَنْ جاورَنا عزَّ بِنا.

أنواع الإسناد:والإسناد نوعان: ١-حقيقة عقلية، ٢-ومجاز عقليٌّ.

الحقيقة العقلية[1]:الحقيقة العقلية هي إسناد الشيء إلى شيء (ثانٍ) هو من الأمور المنسوبة إليه في متعارَف الناس إثباتًا أو نفيًا.

فالاثباتُ كقول الصّلَتانِ العبدي:

أشاب الصغير وأفنى الكبيرَ   كَرُّ الغداة ومَرُّ العَشِيِّ

[1] قال القزويني: الحقيقة العقلية:هي إسناد الفعل أو معناه إلى ما هو له عند المتكلم في الظاهر، (أي إسناد الفعل أو معناه إلى من هو صاحب ذلك الفعل عند المتكلم) والمراد بمعنى الفعل المصدر واسم الفاعل (واسم المفعول، والصفة المشبهة)، وقوله:في الظاهر: ليَشْمُل ما لا يطابق اعتقادَه مما يُطابق الواقعَ وما لا يُطابقه، فهي أربعة أضرب: الأول-ما يطابق الواقع واعتقاد المتكلم: كقول المؤمن: أنبتَ اللهُ البقلَ، وشَفَى اللهُ المريضَ. الثاني-ما يطابق الواقع دون اعتقاده كقول المعتزلي لمن لا يَعْرِفُ حالَه وهو يُخْفِيها منه: خالقُ الأفعال كلّها هو اللهُ تعالى. الثالث-ما يطابق اعتقاده دون الواقع كقول الجاهل: شفى الطبيبُ المَرِيْضَ،ومنه قوله تعالى حكايةً عن بعض الكفار: {وما يهلكنا إلا الدهر} ولا يجوز أن يكون مجازا والإنكار عليهم من جهة ظاهر اللفظ لما فيه من إيهام الخطأ بدليل قوله تعالى عقيبه: {وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون} والمتجوز المخطىء في العبارة لا يوصَفُ بالظّنّ، وإنما الظان من يعتقد أن الأمر على ما قاله.

الرابع- ما لا يطابق شيئا منها كالأقوال الكاذبة التي يكون القائل عالما بحالها دون المخاطب. الإيضاح في علوم البلاغة(١ / ٢٨)

لأن الشاعر جاهِلِيٌّ، وظاهر كلامه يُشعِرُ بأنه يَعْتَقِدُ أنّ مرور الزّمان هو سببُ الشَّيْب؛ إذ لم يَنْصِبْ قرينةً على أنه يَعْلَمُ أنّ ذلك ليس سببًا للشَّيب. ومثال النفي كقوله تعالى: {فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وما كانُوْا مُهْتَدِينَ} [البقرة: ١٦] فنُفِيَ الهداية عنهم لأجل الخطأ في تجارتهم.

٢- المجاز العقلي[١] : المجاز العقلي هو إسناد الشيء إلى فاعلٍ أو صفةٍ ليس هو في الحقيقة فاعلًا له ولا صفةً له في متعارف الناس،سواء كان إسناده

---

[١] المجاز العقلي: وأما المجاز (العقلي) فهو إسناد الفعل أو معناه إلى ملابسٍ له غير ما هو له بتأويلٍ.

وقولنا: "بتأويل": يخرج نحو قول الجاهل: شفى الطبيبُ المريضَ؛ فإن إسناده الشفاء إلى الطبيب ليس بتأويل، ولهذا لم يحمل نحو قوله الشاعر الحماسي:

أشابَ الصّغِيْرَ وأَفْنَى الكبيرَ كَرُّ الغداةِ ومرُّ العَشِيّ

على المجاز، ما لم يعلم أو يظن أنّ قائلّه لم يُرِدْ ظاهرَه.

وسمى الإسناد في هذين القسمين من الكلام عقليا:لاستناده إلى العقل دون الوضع؛ لأنّ إسناد الكلمة شيءٌ يحصل بقصد المتكلم دون واضع اللغة، فلا يصير "ضرب" خبرا عن زيد بواضع اللغة، بل بمن قصد إثبات الضرب فعلا له، وإنما الذي يعود إلى واضع اللغة أنّ "ضرب" لإثبات الضرب لا لإثبات الخروج، وأنه لإثباته في زمان ماض وليس لإثباته في زمان مستقبل، فأما تعيين من ثبت له فإنما يتعلق بمن أراد ذلك من المخبرين. (الإيضاح في علوم البلاغة:١/ ٢٨)

إلى ذلك الشيء الثاني إثباتًا أو نفيًا، ويكون ذلك الإسناد لملابسة وتعلّقٍ يكون بين المجاز وما نُسِبَ إليه، أي بين المنسوب والمنسوب إليه.

وللفعل ملابسات شتّى (يُسند إليها): يلابس الفاعلَ والمفعولَ به والمصدرَ والزّمان والمكان والسبب.

١-الإسنادُ إلى المفعول به مجازًا، نحو قولهم: عيشةٌ راضية : -عشيةٌ مبتدأ، وراضيةٌ صيغة اسم الفاعل فيها ضمير راجع إلى المبتدأ فاعل-؛ فإنّ أصله رضِيَ المرءُ عيشتَه، أُسنِدَ المصدرُ (راضية) إلى المفعول به السابق(عيشة) وصار ضمير المفعول به السابق فاعلًا للمصدر (راضية).

٢-الإسناد إلى الفاعل مجازًا: نحو سيلٌ مُفْعَمٌ: من قولهم:أَفْعَمَ السَّيْلُ الواديَ أي ملأه: فقد جعل السيلَ مفعمًا وليس كذلك بل هو مفعِمٌ.

٣-الإسنادُ إلى المصدر: نحو جَدَّ جِدُّهم: أصله جَدَّ زيدٌ جِدًّا، أي اجتهادًا؛ لأنّ حقَّ الجدّ أنْ يُسنَد إلى صاحب الجدّ وهو الشخص لا إلى الجِد نفسه.

٤-الإسناد إلى الزّمان، نحو: نهارُه صائمٌ، وليلُه قائم ٥-الإسناد إلى المكان، نحو: {وجعلنا الأنهار تجري من تحتِهم} فقد أسند الجريَ إلى الأنهار، وهي أمكنة للمياه وليست هي الجارية بل الجاري ماؤُها.٦-الإسناد إلى السبب: نحو: بنَى الأميرُ المدينةَ، ونحو:

إني لمن معشَرٍ أَفْنى أوائلَهم   قيلُ الكُماةِ ألا أين الْـمُحامونا

فقد نسب الإفناء إلى قول الشجعان:"هل من مدافع"، وليس ذلك القول بفاعلٍ وإنما هو سببٌ فقط. (علوم البلاغة للمراغي: ص ٢٩٢)

والأشهر في المجاز العقليِّ أن [٦]يُسْنَدَ الفعلُ إلى سببه (أوغيره) مما يكون بين الفعل وبينه ملابسة، كملابسة الثوب واللباس بالبدن.

مثال نسبة الفعل إلى سببه: قولُ أمِّ زَرْعٍ في زوجه أبي زرعٍ: أَناسَ مِنْ حُلِيٍّ أُذُنَيَّ، وملَأَ من شحمٍ عَضُدَيَّ".

فإنّ زوجَها لَـمَّا اشترى لهاالحُلِيَّ لتَلْبِسه في أُذُنَيها، فهو قد أناسَ[٧] أُذُنيها(أي أثقل أُذُنيها بالحُلِيِّ والقُرط) وهذا قريبٌ من الحقيقة (لأنه) لما أفاض عليها الخيرَ والراحة حتى سَمُنَتْ قد تسَبَّبَ في مَلْءِ عضُدَيها بالشحم، وهذا مجاز عقلي لملابسة السببية.

وهناك أمثلة كثيرة للمجاز العقلي المبنِيِّ على ملابسات شتّى:(١)نحو عيشة راضية، مع أن الراضي صاحب العيشة، (٢)ونحو نهر جارٍ، مع أن الجاري ماؤه، (٣)ونحو أنبت الربيع العُشْبَ، لأن الربيع زمن الإنبات، (٤)وكقوله تعالى: {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}[المزمل: ١٧] لأن اليوم ظرف

---

[٦] أي: أنْ لايُسْنَدَ الفعلُ إلى الفاعل الحقيقي بل يُسْنَدُ إلى السبب أو غيره كما يقال: أنبَتَ الربيعُ البقلَ، أو اخضر الزرعُ بالمطر.

[٧] ناسَ يَنُوس نَوْساً: تحرّك وتَدَلّى. "أَناس من حُلِيٍّ أُذُنيَّ". أَرادت أَنه حَلَّى أُذنيها قِرَطَةً تَنوس بأُذنيها، (أي ملأهما من الحُلِيّ فهو ينوس أي يتحرّكُ) ويقال للغُصْن الدقيق –ذا هبت به الريح فهزَّته– إنه يَنوس. لسان العرب (٦/ ٢٤٥)

للمشيبات(٥)ونحو قوله تعالى: {يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا} [غافر : ٣٦] لأنه الذي يأمر بالبناء(٦)ونحو قوله تعالى {يَوْمًا عَبُوسًاقَمْطَرِيرًا} [الإنسان: ١٠]

ومن مثال المجاز العقلي في النّفيِ قوله تعالى: فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ [البقرة : ١٦]؛ فإن نفي الرّبح لم يُتَعارَفْ إسنادُه للتجارة، بل إنّما يُثْبَتُ الرّبح ويُنْفَى عن التّاجر.

وهو محتاج إلى قرينة لفظيةٍ أو معنوية؛ لِيُفارِقَ كلامُ البليغ عن كلام الغالط والهاذِيّ والغبِيِّ.

التمرين

١ -عَرّف الإسنادَ تعريفًا يَشمُل[1] الإسنادَ الخبريّ والإنشائيّ ومَثّلْ لهما؟

٢-اذكر طَرَفَيِ الإسناد في الخبر والإنشاء.

٣-ماذا تعرِفُ من عوارض الإسنادِ وأحواله؟ اذكرها.

٤-ماهو قصدُ الْـمُخْبِرِ من خبره عند البُلَغاء؟

٥-اذكر أنواع الخبر باعتبار التأكيد وعدمه؟

٦-كم مرتبةً وأنواعًا للكلام باعتبار المؤَكّدات وعدَمها؟

٧-كم هي أدواتُ التّأكيد؟ وماهي؟

٨-عرّف الحقيقة والمجاز العقليّ واذكر لهما أمثلةً؟

٩-اذكر أمثلةً من المجاز العقلي مع ذكر ملابستها؟

١٠-وماهو معنى الملابسة؟بَيِّنْها؟

[1] شمَلَ يَشمُل كنصر ينصر، وشمِلَ يشمَل كسمع يسمع، كلاهما بمعنى واحدٍ، يقال: شمل الأمرُ القومَ، أي عَمَّهم.

عوارض المسند إليه وأحواله

المسند إليه: هو (كاسمه) ما ضُمَّ إليه غيرُه لِيَصِيْرَ الكلامُ مفيدًا، مثل المبتدأ والفاعل ونائب الفاعل واسم كان واسم إنّ.

١-والأصل في المسند إليه أن يكون مذكورًا في الكلام، وقد يُحذَفُ إذا دلَّتْ عليه قرينةٌ، نحو قوله تعالى: { فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} [الذاريات : ٢٩] أي: أنا عجوزٌ عقيمٌ.

وقد يُحذَفُ المسند إليه(١) لضِيْق المقام، نحو قول رفيق الصّياد: غزالٌ! أي هذا غزال. (٢)أو ليجري اللفظُ (لفظُ المسند إليه) مجرى المثل، فيكون موجزًا، نحو "رَمْيَةٌ من غيرِ رامٍ" أي رميتُكَ هذه (رميةٌ من غير رامٍ)

٢-وكذلك الأصل في المسند إليه التعريف، لأنّ الحكم إنما يكون على معروف (أي على المعرفة) فيكون المسند إليه معرفةً من المعارف الستة المذكورة في النحو.

فإذا تَعَيّن طريقٌ من تلك الطّرُق السّتة وجب الاقتصار عليه وإنْ أمكن الاتيان في تعريفه بطريقين فصاعدًا، كما إذا أمكن التعبير عنه باسمه العلم، أو بالموصول وصلتِه، أو بالضمير-تَخَيّرَ البليغُ في ذلك، وهو يُراعِيْ ما هو أنسب.

(١)فقد يختار تعريفه باسمه العلم؛ لأن في الاسم تعظيمًا، مثل مُعِزّالدّين، والرّضا، أو فيه إهانةٌ، نحو الأَكّالُ والبَوّالُ وغيرهما-فيقصِد المتكلمُ الإشارة إلى أن المسمى له حظّ من اسمه، فلذلك قال الشاعر:

وفضلٌ يَسيرٌ في البلاد يَسيرٌ

وقال النبي صلى الله عليه وسلم(إشارةُ) إلى قباحة الاسم: "عُصَيّةٌ عَصَتِ اللهَ ورسولَه".

وقد يكون في الاسم محبةٌ وابتهاج بِذِكْرِه، كما في قول القائل:

بالله يا ظَبَيَاتِ القاعِ قُلنَ لنا ليلايَ منكنّ أم ليلى من البشر

فلم يَقُلْ: أم هي من البشر، لِيُعِيدَ اسمها.

(٢)وقد يختار تعريفُه بالموصول؛ لأنّ الصّلة تُشْعِرُ بمعنًى لايمكنُ أنْ يُؤَدّى بغير الجملة، مثل دلالة الصّلة على التّفخيم في قوله تعالى: {فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ}[طه : ٧٨] وكاختيار الموصول على المُعَرّف بـ "أَلْ" (لدلالة الصلة على علة الحكم) في قول زُهيرٍ:

ومَن لم يَذُدْ عن حوضِه بسِلاحه

يُهَدَّم ومن لا يَظْلِمِ النّاسَ يُظْلَم

فإن الشاعرَ لم يقل: إن المستَسلِمَ مهضومٌ مثلًا، بل أتى بالموصول يُشيرُ بالصلة إلى علة الحكم.

(٣)وكاختيار المضاف على الاسم العلَم في قوله تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} [البقرة : ٢١] فقد اختار اللهُ "رَبّ" المضاف إلى "كم" المضاف إليه، بدلًا من الاسم العلَم.

٣-وقد يُؤتَى بالمسند إليه نكرَةً لعدَم الدّاعي للتّعريف، نحو قوله تعالى: { وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْـمدِينَةِ يَسْعَى} [القصص : ٢٠] فَيَدُلّ على أن المسند إليه فردٌ مُبْهَمٌ من جنس الرّجال.

-ثُمّ يُتَوَصَّلُ بذلك (بكونِ الاسمِ نكرةً) إلى إفادة التّعظيم تارةً، والتّحقير أخرى، وقد جَمَعها قول مروان بن أبي حفصةَ:

له حاجبٌ من كلّ أمرٍ يَشِينه

وليس له من طالب العِزّ حاجب

ويُعْرَفُ ذلك بالقرينة وسياق الكلام، كقول عبّاس بن مِرداس:

وقد كنتُ في الحرب ذا تُدْرَإٍ فلم أُعطَ شيئاً ولم أُمنَعِ

أي لم أُعطَ شيئًا عظيمًا بقرينةِ قوله: لم أُمْنَعْ.

٤-ومن أَهَمّ أحوال المسند إليه حالة تقديمه، فإن تقديمَه وإن كان هو الأصل، إلا أن المتكلم قد يشير باختيار تقديمه مع تَأَتّي تأخيرِه (إلى الاهتمام بشأنه)، (١)كأن يأتي به مبتدأ مع إمكان الاتيان به فاعلًا إذا كان الخبر فعلا، (٢)أو يأتِيَ به مبتدأً وهو نكرة والخبر فعلٌ، مع أن الأصل حينئذٍ تقديم الفعل، كما في قولهم:"بقرةٌ تَكَلّمَتْ" للإشارة إلى أن ذلك للاهتمام بشأنه،

(٣)أو يكون تقديم المسند إليه لأجل الفأل الحسن، نحو قوله: "سَعْدٌ أتاكَ"، أو يكون للتشويق نحو قول الْـمَعَرِّي:

والذي حارتِ البَرِيّةُ فيه

حيوان مستحدَثٌ من جَماد

يُريدُ به حشر الأجساد من التّراب، ومن الممكن أنه أرادَ خَلْقَ ناقة صالح من الحجر.

-ومما التزمت العربُ فيه التّقديمَ (تقديمَ المسند إليه) لفظُ "مثلُ" و "غيرُ" في قولهم: "مثلُكَ لايَبْخَلُ"، و "غيرُكَ لايَجودُ" إذا أُرِيْدَ أنتَ لاتَبخَلُ وأنت تَجودُ، فَجُعِل "مثل وغير" كنايةً عن المخاطب، وبهذا الجعل يشيرون إلى التقديم المفيد للاهتمام؛ إذ لا وجه لهذا الاهتمام إلا التنبيهُ على أن المراد بـ "مثل وغير" معناهما الكنائيّ.

التمرين

١-عَرِّف المسند إليه واذكر أمثلتَه؟

٢-ماهو الأصل في المسند إليه؟

٣-اذكر نكتةَ حذف المسند إليه؟

٤-ماهي الفائدة في إتيان المسند إليه باسمه العَلَم أو بالموصول؟

٥-اذكر سبب اختيار المضاف في المسند إليه بدل اسمه العلم؟

٦-ماهي الحكمة في إيراد المسند إليه نكرةً؟

٧-لماذا اِسْتَشْهَدَ المصنّف بهذا البيت:

له حاجبٌ من كلِّ أمرٍ يَشينه

وليس له من طالب العِزّ حاجبٌ

٨-ماهو أَهَمُّ أحوال المسند إليه؟

٩-ماهو الوجه في إتيان المسند إليه مبتَدَأً مع إمكان اتيانه فاعلًا؟

أحوال المسند وعوارضه

تعريف المسند: هو الكلمة المضمومة إلى غيرها لِتُفِيْدَ أنّ مدلولَها محكوم به لذلك الغير.

ومصداق المسند هو خبر المبتدأ وفعل الفاعل أو نائبه إذا كان ذلك الفعل تامًّا(لا ناقصًا)

واسم الفعل والمبتدأ إذا كان وصفًا يستغنى (كلُّ واحدٍ منهما) بمرفوعه عن الخبر؛ لأن ذلك المبتدأ في قوّة الفعل؛ فلذلك عَمِلَ في الفاعل، نحو "أَقائمٌ زيدٌ"؟.

ومن أنواع المسند: خبرُ "كان" وأخوتها، وخبرُ "إنّ" وأخواتِها.

ثم المسند على نوعين: (١)قد يكون اسمًا (٢)وقد يكون فعلًا، فلا جَرَمَ أنّك تطلُبُ الفرق بين الدّاعي للبليغ أن يأتي بالمسند مرّةً اسمًا ومرّة فعلًا:

فاعلم أنه يأتي به فعلًا إذا أراد تقييد الحكم بأحد الأزمنة الثّلاثة: الماضي والحال والاستقبال على أَخْصَر وجهٍ، فَيُغْنِيْهِ قولُه: "قَدِمَ صديقُك " (بصيغة الماضي) عن أن يقولَ: " قُدومُ صديقك كان بالأمس"، فيكون الاتيان بالفعل طريقًا من طُرُق الإيجاز، عند إرادة إفادة الزمان، مع ما في الفعل من إفادة كون الوصف (وصف المسند) غير ذاتي للمسند إليه.

ويختار المضارع في إتيان الفعل ليدُلّ على تجدّد الحصول آنًا فآنًا، نحو قوله تعالى: { اللهُّ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة : ١٥]

وأما إتيان البليغ في المسندِ الاسمَ، فيكون عند إرادة عدم التقييد بأحد الأزمنة الثلاثة، وإرادة عدم التّجدّد، فقولك: زيدٌ منطلقٌ"، تريدُ به إثباتَ وصف الانطلاق لزيدٍ فقط، ولا تتعرّضُ فيه لأكثر من هذا، فهو شبيه حينئذٍ بالصّفات التي لا دلالة لها على شيءٍ من الحدوث(وإنما هي دالة على اللزوم) نحو زيدٌ طويلٌ، ومثال ذلك في القرآن قوله تعالى: { وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ} [البقرة : ١٤] فأشارَ إلى أن الاستهزاء بالمؤمنين صفة لازمة لهم، ليست بأمرٍ حادث فيهم.

-أحوال المسند الفعلي: ومن أحوال المسند الفعلي(١)أن يُقَيَّدَ بالشرط على معنى أداة من أدوات الشرط المذكورة مع معانيها في كتب النّحو، ولافائدة في ذكر تفاصيلها في هذا العلم.

وإنما يَتعلّق الغرض ببيان الفرق بين الشرط بـ "إنْ" والشرط بـ "إذا" لأن النُّحاة أهملوا هذا الفرقَ.

-الفرق بين الشرط بـ "إن" و "إذا":- فإنّ "إنْ" و "إذا" مشتركتان في الدّلالة على أصل التّعليق والاستقبال دون زيادةٍ.

لكنّ الغالبَ في الشرط بـ "إنْ" (١)أن يدل على عدم اليقين بوقوع الشرط، كقوله تعالى: {وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ [محمد : ٣٦]

فإن إيمانَهم وتقواهم واقعان، وإنما أُبْرِزَ الكلامُ في صورة ما لاجزمَ فيه على طريقة العرب، والمقصود حَثُّ المسلمين على الثُّبات في الإيمان والتّقوى.

(٢)أو كان مشكوكًا في وقوعه، ضعيف الاحتمال كقول الْـمَعَرِّيِّ:

فإنْ أَسْتَطِعْ في الحشر آتِكَ زائرًا

وهيهاتَ! لِيْ يومَ القيامةِ أشغالُ

(٣)وقد تُستعمَلُ "إنْ" في مقام اليقين لِتـنْـزِيل اليقين مَنْزلة الشّكّ، كما إذا كانت حال المخاطب حال من يَشُكُّ في الأمر اليقين، كقول طرفة:

ألا أيُّهَذَا الزّاجِرِيَّ أَحْضُرَ الوَغَى

وأَنْ أَشْهَدَ اللذّاتِ هل أنتَ مُخْلِدِي؟

فإنْ كنتَ لا تستطيعُ دَفْعَ مَنِيَّتِيْ

فَدَعْنِيْ أُبَادِرُهَا بِمَا مَلَكَتْ يِدِيْ

وأما "إذا"(١) فأصلها الدلالة على اليقين بوقوع شرطها، كا في قوله تعالى: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِّ وَالْفَتْحُ} [النصر : ١]، وقد جاء على ذلك قولُه

تعالى: { فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} [الأعراف : ١٣١]؛ لأنّ نِعَمَ الله على العباد كثيرةٌ والمصائب نادرةٌ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ} [فاطر : ٤٥].

(٢)وتُستَعمَلُ "إذا" في مقام عدم اليقين، كتصور الأمر المحجوب كثيرًا وقوعُه؛ لشدّة تعلق القلب بكثرته، كقول النّابغة:

إذا تَغَنّى الحَمامُ الوُرْقُ هيّجَني

وإنْ تَغرّبْتُ عنها أُمَّ عَمّارِ[٩]

-(أحوال المسند الاسمي):(١)والأصل في المسند التّأخير عن المسند عليه.

---

[١] الوُرْقُ: الذي فيه سواد وبياض. هَيّجَ: أثار. وهَيّجَه: أثارَهُ، والمعنى: إذا تغنى الحمام الوُرْقُ هَيّجَنِي وذَكَّرَنِيْ أَمَّ عمارٍ، ونصبُ أمّ عمّار بِهَيّجَني؛ لأن المعنى: ذَكّرَني أَمَّ عمّارٍ. الزاهرللأنباري"قولهم رجل مؤمن" (١/ ٩٨)، الكتاب لسيبويه:"باب مايُحذف منه الفعل لكثرته"(١/ ٥٨) قوله: وإنْ تَغَرَّبتُ: "إنْ" وصلية، أي وإن كنتُ بعيدا عن الوطن، فإنّي أَتَذَكّرُ أَمَّ عمّارٍ عند تَغَنّي الحمام الوُرق.

(٢)وقد يُقَدّمُ على المسند إليه ليُفيدَ تقديمُه قَصْرَ المسند إليه على المسند، نحو قوله تعالى: {لَا فِيهَا غَوْلٌ} [الصافات : ٤٧]، أي إنّ عدَم الغولِ مقصورٌ على الكون في خمر الجنة، وسيأتي في القصر إن شاء الله تعالى.

وقد شاع عندالعرب تقديم أسماء الأعداد عند قصد جمع أشياءَ، ليفيدَ التقديم تشويقًا للمعدود، نحو قوله صلى الله عليه وسلم: "سبعةٌ يُظِلُّهم اللهُ في ظلّه يومَ لا ظِلّ إلا ظِلُّه: إمام عادلٌ"[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم: "كلمتان حبيبتان إلى الرّحمن"[٢]. الحديث.

ونحو قول محمد بن وُهَيْبٍ في مدحِ المعتصم العبّاسي:

[١]رواه البخاري، وتمامُه: عن أبي هريرة رضي الله عنه:عن النّبي صلّى الله عليه و سلّم قال:سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ تعالى في ظلِّه يومَ لا ظلّ إلا ظلُّه: ١-إمامٌ عَدْلٌ، ٢-وشابٌ نَشَأَ في عبادةِ الله، ٣-ورجلٌ قلبُه مُعَلّقٌ في المساجد، ٤-ورجلان تَحَابَّا في الله اِجْتَمَعا عليه وتَفَرّقَا عليه، ٥-ورجلٌ دَعَتْه امرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ فقال: إني أخافُ الله، ٦-ورجل تَصَدّقَ بِصَدَقةٍ فأَخْفَاها حتى لا تَعْلَمُ شِمالُه ما تُنْفِقُ يَمينُه، ٧-ورجلٌ ذَكَرَ اللهَ خاليًا فَفاضَتْ عَيْنَاهُ. صحيح البخاري، كتاب الزكاة:باب الصدقة باليمين(٢/ ٥١٧)برقم(١٣٥٧). وفي رواية النسائي: إمام عادل. سنن النسائي:كتاب آداب القضاء، الإمام العادل(٨/ ٢٢٢) برقم(٥٣٨٠)

[٢] رواه البخاري، وتمامه:عن أبي هريرة : عن النّبيِّ صلَّى اللهُ عليه و سَلَّمَ قال: كَلِمَتَانِ حَبِيْبَتانِ إلى الرّحمن خَفِيْفَتَانِ على اللِّسان ثَقِيْلَتَانَ في الميزانِ: سبحان الله وبحمده "سبحان الله العظيم".

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجَتِها

شمسُ الضُّحى وأبوإسحاقَ والقمرُ

وهذا كلّه مالم يكن التقديم بسببٍ يُوجِبُ ذلك التّقديمَ، مثل تقديم أدواتٍ توجب الصّدر نحو هذه الأمثلة الآتية:

كيف أنتَ؟ وأين اللقاء؟ ومتى الظّعْنُ ؟ أين الرّحيل؟.

أو بسبب يُعرَف أنه لفظي لا غرض فيه لغير اللفظ، مثل التقديم لأجل السّجع، كقول الحريري في المقامة الثانية:

فوجدتُهُ مُشافِناً لتِلْميذٍ،على خبْزِ سَميذٍ، وجَدْيٍ حَنيذٍ، وقُبالَتَهُما خابيةُ نبيذٍ". فتقديم قوله: " قبالتهما" على المسند عليه لقصد السجع، إذ لايحتمل معنى القصر.

(٣)وكذلك الأصل في المسند التنكير، (٤)وقد يُؤْتى به معرفةً لأغراضٍ أهمها: إفادة القصر، كما سيأتي في بابه، وهذا آخر باب المسند.

التمرين

١-عرّف المسند واذكر مصداقه؟

٢-لماذا يستغني اسم الفعل والمبتدأ إذا كان وصفا عن الخبر؟

٣-كم قسمًا للمسند اُذكرهما؟

٤-لماذا يُؤتَى بالمسند فعلًا؟

٥-ماهو الفرق بين "إنْ" و "إذا".

٦-ماهو الأصل في المسند؟

أحوالُ متعلقات الفعل وعوارضُها

والمراد بمتعلقات الفعل المفاعيل الخمسة والظّرف والأسماء المجرورة والحال والتمييز.

وأهم مايتعلق به غرض البليغ هو أحوال المفاعيل، وخاصّةً المفعول به؛ فإنه الذي تَعْرِض له أحكام الحذف دون غيره من المفاعيل، لأنه إذا لم يُذكر عَلِمْنا أنه محذوفٌ؛ إذ الفعل المتعدي يطلبُ مفعولَه طلبًا ذاتيًّا ناشئًا عن وضع معنى الفعل المتعدي؛ فإن الفعل اللازم وُضِعَ ليدل على حدثٍ صادر عن ذاتٍ واحدة(هي الفاعل). والفعل المتعدي وُضِعَ ليدُلّ على حدثٍ صادر عن ذات ومعلّقٍ بأخرى.

أما بقية المفاعيل فإنها إذا لم تُذكر لايوجد دليل يدل على أن المتكلمَ قصد ذكرَها ثم حذفها.

وذلك أحكام التقديم إنما تغلب مراعاتها في المفعول به.

-أحوال المفعول به-(١)فإذا لم يذكر المفعول به مع فعله المتعدي إليه ولم تكن قرينةٌ على تقديره فحذفه حينئذٍ قد يكون لإظهار أنْ لا غرض في تعلق الفعل بمفعوله، فيُنَزَّلُ الفعل حينئذٍ منزلة اللازم بحيث لايكون النّطق به إلا لقصد الدلالة على أصل معناه الحدثي إذا لم يجد المتكلم فعلا آخر يدل على ذلك

المعنى، أو لم يستحضره، فحينئذٍ لا يُقَدَّرُ لذلك الفعل مفعولٌ، نحو قوله تعالى: { هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ} [الزمر : ٩] ، وقول البَحْتَرِيِّ يمدحُ الْـمُعْتَزّ بالله العبّاسيَّ:

شجوُ حسّاده وغيض عداه

أنْ يرى مُبْصِرٌ ويسمع واعي[٢]

فلم يذكر الشاعر مفعول يرى ويسمع، لأنه أراد أن يوجد راءٍ وسامعٌ فلا غرض لمعرفة مفعول، والمعنى: أن الرائي لا يرى إلا آثار الخليفة الحسنى، والسامع لا يسمع إلا ثناءَه، وقرينة ذلك قوله: "شجو حساده"، لأن ذلك هو الذي يشجو حساده ويغيض عداه.

(٢)وقد يكون حذف المفعول لقصد التعميم، مثل قوله تعالى:{وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} [يونس : ٢٥] أي يدعو كلَّ أحدٍ.

[٢] أي أن يكون ذا رؤية وذا سمعٍ،يقول: محاسن الممدوح وآثاره لم تَخْفَ على من له بَصَرٌ لكثرتها واشتهارها، (وعلامة ذلك أنه) يقع عليها بَصَرٌ ويَعِيْهَا سَمْعٌ، لظهور دلالتها على ذلك لكل أحد، فحُسّادُه وأعداؤه يتمنَّون أنْ لا يكون في الدنيا من له عينٌ يُبْصِرُ بها، وأُذُنٌ يَسمع بها. الإيضاح"القول في متعلقات الفعل" (ص ١٠٤)

وإنما قلنا آنِفًا: ولم تقم قرينةٌ على تقديره". لأنه إن كان المفعول مقدّرًا مَنْوِيَّ اللفظ فهو كالمذكور.

والقرينة إما من نفس الفعل، بأن يكون مفعوله معيّنًا، لأنه لا يتعدى إلا إليه، كقول عمروبن معديكَرِب:

فلو أن قومي أَنْطَقَتْني رِماحُهم نَطَقْتُ ولكنّ الرّماحَ أَجَرّتِ

فإن فعل "أَجَرَّ" معناه شقّ اللسان، فمعفوله متعين (وهو اللسان).

وإما بأن تكون عليه قرينة لفظية وهي كثيرةٌ.

(١)وأما تقديم المفعول وما بمعناه كالجار والمجرور والظرف،(١) فقد يكون للحصر، نحو قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥]

وفي القرآن الكريم جاء (في حق الأنبياء): {فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ}[٢] (أي اِقْتَدِ بهدْي الأنبياء) وهو كثير في كلامهم. (٢)وقد يكون التقديم لمجرد الاهتمام نحو قوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ} [فصلت : ١٧] في قراءة النّصب.

وقد يكون التقديم لغرض لفظيٍّ، كالسّجع والفاصلة نحو قوله تعالى: {ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ[الحاقة: ٣١]

[٢][سورة الأنعام: ٩٠]

التمرين

١-ماهو المراد بمتعلَّقات الفعل؟

٢-وما أَهَمُّ ما يتعلّق به غرض البليغ من متعلَّقات الفعل؟

٣-ماهي الحكمة في تقديم المفعول به؟ أذكر أسبابه؟

٤-لأيّ شيءٍ اِسْتَشْهَدَ المصنّف بقوله تعالى: {وَأَمَّا ثَمُودَ فَهَدَيْنَاهُمْ} في قراءة النصب.

٥-ماهو الفرق بين وضع الفعل المتعدي ووضع الفعل اللازم؟

باب القصر وما يتعلق به

وبما أن القصر له مباحث مهمّةٌ في علم البلاغة، وله تعلّقٌ قويٌّ بالأبواب الثلاثة التي مضت جعل له بابٌ عَلَى حِدَةٍ وأُخّر عن تلك الأبواب.

تعريف القصر: (١)وهو تخصيص حكمٍ بمحكوم عليه بحيث لا يثبتُ ذلك الحكم لغير ذلك المحكوم عليه. (٢)أو تخصيص محكوم عليه بحكم بحيث لايتّصِفُ ذلك المحكوم عليه بغير ذلك الحكم، بواسطة طريقة مختصرة تُفيدُ ذلك التخصيص قصدًا للإيجاز.

فخرج بقولنا: "بواسطة طريقة مختصرةٍ" نحو قول السَّمَوْأَل:

تَسيلُ على حدِّ الظُّباتِ نُفوسنا   وليستْ على غيرِ الظُّباتِ تَسِيلُ

فإن هذا المثال اقتضى تخصيص سيلان النفوس، أي الدماء بالكون على حدّ الظُّبات، لكن ذلك ليس مدلولًا بطريقةٍ مختصرةٍ، بل بجملتي إثباتٍ ونفيٍ(النّفوس تسيل على حدّ الظُّبات، ولاتسيل على غير الظُّبات.

والمراد بالحكم والمحكوم عليه (في تعريف القصر) الأمرُ المقصودُ قصره أو القصر عليه، سواءٌ كان(١) أحدَ ركنَيِ الإسناد، نحو قوله تعالى: {وَمَا

مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ} [آل عمران : ١٤٤] (٢)أو كان المتعلق أحدُهما، كالمجرور المتعلق بالمسند في قول كعبِ بن زُهيرٍ:

لايَقَعُ الطَّعْنُ إلا في نُحورهم

وما لهم من حِياض الموتِ تبليلٌ

فقصد وقوعَ الطّعن على الكون في نحورهم.

(٣)وكان الحال المخَصِّصَةُ للمسند إليه، نحو إنما الشاعرُ زُهيرٌ راغبًا، إذا أردتَ قصرًا ادّعائِيًّا، في حالته هذه؛ بقولهم[١]:"زُهَيْرٌ إذا رَغِبَ والنّابغةُ[٢] إذا رَهِبَ، والأعشى إذا طَرِبَ، وعنترةُ إذا رَكِبَ". أي انظر هؤلاء في هذه الأحوال.

[٢] قيل للفرزدق: من أشعر الناس؟ فقال: النابغة إذا رَهِبَ (أي خافَ ونظم قصيدة في الاعتذار)، وامرؤ القيس إذا رَكِبَ (فرسَه للقتال)، وزهير إذا رَغِب(فقال قصيدة في المدح) والأعشى إذا طرِبَ (فصنع قصيدة في الجمال).نور القبس(١ / ١٠)

وقيل للحُطيئة: من أشعَر الناس؟ قال: النابغة إذا رَهب، وزُهير إذا رَغب، وجَرير إذا غَضِب. (العِقد الفريد"فضائل الشعر"(٢ / ٣٠٦)

وقيل للفَرَزْدَق: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ؟قال: كَفَاكَ بِي إِذَا افْتَخَرْتُ، وبِجَرِيْرٍ إِذَا هَجَا، وبالأَخطَلِ إِذَا امْتَدَحَ. (سير أعلام النبلاء(٨ / ١٦٠) الأخطل)

(٤)وكالظرف في قول عمر بن أبي ربيعة:

فقالت وأَلْقَتْ جانبَ السّتْرِ إنّما

معي فتَحَدَّثْ غيرَ ذي رِقْبَةٍ أهلي

أي إنّك لاتَتَحَدّثُ الآن إلا معي، فقُلْ ماشئتَ.

شرح الاصطلاحات: ١-المخصوص بشيءٍ يُسَمّى مقصورًا.

٢-والمخصوص به شيءٌ يسمى مقصورا عليه.

٣-والمقصور هو الذي لايتجاوز المقصور عليه إلى غيره.

٤-والمقصور عليه هو الذي لايشاركه غيرُه في الشيء المقصور، فالاختصاص والحصر مترادِفان.

ثم القصرُ على نوعين: (١)إما قصر موصوفٍ على صفةٍ وهو أن لايتجاوز الموصوف عن تلك الصفة إلى صفة أخرى. (٢)وإما قصر صفة على موصوف، والمراد بالصفة والموصوف هنا- الحكمُ والمحكوم عليه، لا الصفة المعروفة في النحو.

طرق القصر: وهي ستة: (١)النفي مع الاستثناء، (٢)وإنما، (٣)وتقديم ما حقّه التأخير، من مسند ومفعول ومعمول فعلٍ، (٤)والعطف بلا وبل

ولكن، أو ما يقوم مقام العطف من الدلالة على الاستدراك، بإثباتٍ بعد نفيٍ أو عكسه، (٥)وتعريف المسند، (٦)وتوسيط ضمير الفصل. وتجيء أمثلتها على الترتيب. (١)نحو قول لبيدٍ:

وما المرءُ إلا كالشّهابِ وضَوءِهِ   يعودُ رَماداً بعدَ إذْ هوَ ساطعُ

(٢)وقوله تعالى: إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْـمَيْتَةَ} [البقرة : ١٧٣] (٣)وقوله تعالى:{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} [الكافرون : ٦] (٤)وقوله تعالى: إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} [الفاتحة : ٥] (٥)قوله تعالى:{وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ}[المطففين : ٢٦] (٦)ومثال طريق العطف بـ"لكنّ" بعد الواو قوله تعالى: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}[آل عمران:٦٧]

وكذا قوله تعالى: {مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ} [النحل : ١٠٦] ففيه قصرٌ بعدَ قصرٍ؛ لأن قوله {إلا من أكره} أَخْرَجَ الْمُكْرَهَ من الكافر، ثم أَخْرَجَ منه من شَرَحَ بالكفرِ صدرًا، فالتقديرُ: من كفَر بالله مُكْرَهًا لا غضبَ عليه، ولكن من شرح بالكفر صدرًا.

واعلم أن هذه الآية فيها ثلاثة طرقٍ من طرق القصر.

ومثال العطف بـ "لا" قوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم حَوالَيْنَا ولاعَلَيْنَا".

فالواو زائدة، والمعنى: لاتُـنْـزِل المطر إلا حوالَينا (أي على أطراف البلد).

وأما طريق تعريف المسند فاعلم أنّ التعريف الذي يفيد القصرَ هو التعريف بلام الجنس، فإذا عُرِّفَ المسند بها أفادَ قصر جنس المسند على المسند إليه، نحو "أنتَ الحبيبُ"، وهذا قصر تحقيقيٌّ، وفي قوله تعالى{هم العَدُوُّ} قصر ادّعائِيٌّ، والحزم سوء الظن بالناس قَصرُ قلبٍ، وكذلك قوله تعالى {إنّ شانِئَكَ هو الأَبترُ} قصر قلبٍ.

وأما مثال توسيط ضمير الفصل فنحو قوله تعالى:{أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللهَّ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ}[التوبة: ١٠٤] وكذا قوله تعالى: {إِنْ تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا} [الكهف: ٣٩]وضمير الفصل هو الضمير الذي يتقدم على الخبر ونحوه.

ولا يفيد ضمير الفصل أكثرَ مما أفادته النّسبة لعدم الحاجة إليه في ربطٍ.

واعلم أن طريق النفي والاستثناء و"إنما" والعطف بـ "لا، وبل، ولكنّ" متعينة للقصر.

وأما التقديم وتعريف المسند وضمير الفصل فقد تكون للقصر فيستدلّ على القصر من لكن بمعونة القرائن في المقام الخطابي.

التقسيم الثاني للقصر : وله نوعان آخران: حقيقي وإضافيّ.

(١)فالقصر الحقيقي: هو أن يكون تخصيص الشيء مبنيًّا على أنه كذلك في الواقع ونفس الأمر.

(٢)والقصر الإضافي: هو أن يكون ذلك التخصيص مبنيًّا على النظر لشيءٍ آخر يقابل الشيء المخَصَّصَ به فقط، لإبطال دخول غيره فيه، وكانت لذلك التخصيص قرينة تدل عليه.

مثال الأول:كقولك: "إنّما الخليفة أبوبكرٍ.

ومثال الثاني: "إنما العالم زيدٌ، أي لا عمرو، ردًّا على من زَعَمَ أنّ عمرًا عالمٌ، ولاتريد أن زيدًا هو العالم في الأرض أو البلد دون غيره.

والحزم سوء الظنّ بالناس، أي ليس حُسنُ الظّنّ بحزم، ولم يُرد أن الحزم كلُّه في سوء الظنّ.

ومن القصر الحقيقي ما يسمى بالادّعائيّ: وهو أن تَدَّعي قصرَ الصفة على الموصوف لقصد المبالغة، نحو قوله تعالى:{إِنْ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا}

[النساء: ١١٧]مع أنهم دَعَوْا (الذُّكورَ أيضًا) كـ : هُبُل ويَغوثَ ويَعوقَ، لكنّهم لما أكثروا دعوةَ (الإناث) كـ اللاتِ والعُزّى ومناة- جُعِلوا كالذي لا يدعوا إلا إناثًا. وقوله تعالى في حق المنافقين: {هُمُ العدُوُّ فاحذَرهُمْ} مع أن المتظاهرين بالشرك والكفر أعداءٌ (أيضًا) لكن لما كانت مَضَرّةُ عداوة المنافقين أشدَّ- جُعِلَتْ عداوةُ غيرِهم كـ"لا عداوةٍ".

التمرين

١-عرّف القصرَ ووضّح كلام المصنف في تعريف القصر؟

٢-طَبِّقْ بنتَ السّموأل بالطريقة المختصرة واشرحهُ؟

٣-ما معنى الحكم والمحكوم عليه في تعريف القصر؟

٤-اذكر الكلمات الأربع في مدح الشعراء الكبار الأربعة؟

٥-اكتُبْ المصطلحات الأربعة(المقصور والمقصور عليه، المخصوص بشيء والمخصوص به شيءٌ.

٦-عرّف قصر الموصوف على الصفة وقصر الصفة على الموصوف، وما هو المراد من الموصوف والصفة؟

٧-اذكر طُرُقَ القصر الستةَ، وجئْ بالأمثلة لها؟

٨-لأيّ شيءٍ مَثَّلَ بقوله صلى الله عليه وسلم: "اللهم حوالينا ولا علينا".

٩-عرّف القصر الحقيقي والإضافي واذكر لهما مثالًا؟

١٠-ما القصر الادّعائيُّ؟ اكتب له مثالا.

١١-ما هو التعريف المفيد للقصر في المسند؟

باب الإنشاء

تقسيم الكلام إلى نوعين: فالكلام كلّه إما خبر وإما إنشاءٌ.

تعريف الخبر: فالخبر هو الكلام الذي يحتمل الصدق والكذبَ، بأن يكون للنسبة المعنوية الّتي تضَمّنها الكلام وجودٌ في الخارج ونفس الأمر، يوافقُها الكلام تارةً فيكون صادقًا، ولايوافقها أخرى فيكون كاذِبًا.

لأن الخبر يُقْصَدُ منه حكاية ما في الخارج من الوجود، فلا جرم أنه يلزم عَرْضُ نسبته على ما في الخارج.

فإن نشَأَ عن ذلك العَرْضِ علمٌ بأنها مطابقة فما في الخارج من المحكي فهي صادقة، أو عُلِم بأنها غير مطابقة له، بل هي مخالفة للخارج فهي كاذبة.

تعريف الإنشاء: وهو في اللغة: الإحداث والإيجاد من العَدَم، قال تعالى: {ونُنْشِئُكم فيها لا تعلمون} وفي الاصطلاح: هو الكلام الذي لا يحتمل الصّدق والكذْب، لأنه لم يُقْصَدْ منه حكاية ما في الخارج بل هو (كاسمه) إحداث معنًى بالكلام لم يكن مُحْدَثًا من قبل في قصد المتكلم.

وجميع ما تقدّم من الأحكام في الأبواب الماضية يجري في الخبر والإنشاء، فلا غرضَ لذكر بابٍ خاصّ بالإنشاء هنا، إلا للتنبيه على الفرق بينه وبين الخبر، للإشارة إلى أحكامٍ قليلةٍ بَلاغِيّةٍ تُخْتَصُّ بالإنشاء.

تقسم الإنشاء إلى الطّلَبِيّ وغير الطّلبيّ: وينقسم الإنشاء إلى الطّلَبِيّ الذي يكون فيه طلب شيءٍ، وإلى غير الطّلبي الذي لايكون فيه طلبُ شيءٍ.

أمثلة الإنشاء الطّلَبِيِّ: فالطّلَبِيُّ هو الأمرُ والنّهيُ والاستفهام، والتّمنّي، والتّرجّي، والنداء.

أمثلة غير الطلبيّ: وغير الطّلبِيّ هو القَسَمُ، والتّعجّبُ، والمَدْحُ، والذّمّ، نحو نِعْمَ وبِئْسَ، والوجدانيّات كالتّحَسُّر والفَرَح، والتّرَحُّم، وصيَغُ العقود (من النكاح والبيع والشّراءِ والإجارة والرّهن) كقوله: أَبِيْعُ وأشتري.

ومن الإنشاء غيرِ الطّلبيّ الأجوبة الدّالّة على الامتثال، كجواب النّداء، نحو لبّيك، وسمعًا وطاعةً. وصيغ تلك الأجوبة وأَدَواتها، وأحكامها مفصّلةٌ في كتب النحو.

مسائل الإنشاء: وهنا مسائل من أحوال الإنشاء تكون مهمّةً عند البليغ، أذكرُ بعضًا منها:

الأولى- إتيان الإنشاء في صورة الخبر: قد يأتي الإنشاء في صورة الخبر، وهو ما يُعَبِّرون عنه بالخبر المستعمل في الإنشاء، مثل استعماله في الدعاء، نحو رَحِمَهُ الله، واستعماله في الطلب، نحو قول الظمآن: إنّي عطشانٌ، وفي التّحسّر، نحو قول جعفر بن عُلبة الحارثيّ:

هَوايَ مع الرّكب اليمانين مُصْعِدٌ
جَنِيْبٌ وجُثماني بمكة موثَقٌ

وفي السؤال نحو قوله تعالى حكاية عن موسى: {رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ} [القصص: ٢٤]

الثانية-استعمال صِيَغ الإنشاء بعضها في بعض: يُسعملُ بعضُ صِيَغِ الإنشاءِ في بعضٍ، فيجيءُ الأمرُ للتّمنّي، نحو قول امرئ القيس[٥]:

---

[٢]الانجلاء: الانكشاف، يقال: جَلَوْتُه فَانْجَلَى أي: كشفتُه فانكشف. الأمثَلُ: الأفضلُ، والمُثْلى الفضلى، والأماثل الأفاضل.

يقول: قلتُ له ألا أيّها الليل الطويل اِنْكَشِفْ وتَنَحَّ بِصبحٍ، أي: لِيَزِلْ ظلامُكَ بضياءٍ من الصبحِ، ثم قال: وليس الصبحُ بأفضل منكَ عندي؛ لأَنِّي أُقَاسِيْ الهُمُوْمَ نهارًا كما أُعانِيْهَا ليلًا، أو لأَنّ نَهاري أظلمَ في عيني، لازدحام الهمومِ عليَّ. شرح المعلقات للزوزني(ص ٦٠ برقم(٤٦)

ألا أيّها الليل الطويلُ ألا اِنْجلِ

بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

فقوله "انجلِ" تَمَنٍّ، وقد يجيء للتعجب، نحو قوله تعالى: {انظر كيف ضربوا لك الأَمثال} وكذلك يجيء الاستفهام للنهي، كما في قوله تعالى: { أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ} [التوبة : ١٣]

وقد يأتي الاستفهام للأمر، كما في قوله تعالى: {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ} [المائدة: ٩١]، ويأتي الاستفهام للتّعجب، نحو قوله تعالى: { وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ} [الفرقان : ٧]

وقد يجيء النداء للتعجب في باب الاستغاثة، نحو قول امرئ القيس[٦]:

فيا لكَ مِنْ لَيْلٍ، كأنّ نُجومَه بِكُلّ مُغَارِ الفَتْلِ شُدَّتْ بِيَذْبُلِ

تنبيه: هذه الاستعمالات المذكورة في المسئلتين من قبيل المجاز المركب المرسل، والعلاقة العامة في جميعها هي اللزوم ولو بعيدًا، وقد تطلب لبعض استعمالاته علاقات أخرى بِحَسَب المواقع.

[٦] الإغارة: إحكام الفَتْلِ. يَذْبُل: اسم جبلٍ، يقول: كأن نجومه قد شدت إلى يذبل بكل حبل محكم الفتل. شرح المعلقات للزوزني(ص ٦١، رقم ٤٧)

الثالثة–استعمال الإنشاء في طلبِ أمرٍ واقعٍ،والنّهي عن أمرٍ لايقع:

قد تُستعملُ صِيَغُ الإنشاء في مَنْ حالُه غيرُ حالِ من يُساق إليه ذلك الإنشاء، كالأمر للمتَلَبِّسِ(أي المشغول) بفعلٍ بأن يفعله، نحو قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ} [النساء : ١٣٦]، وكنهي من لم يَتّصف بفعل عن أنْ يفعله، نحو قوله تعالى: { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ} [إبراهيم : ٤٢]

والمقصود من ذلك طلب الدّوام على عدم الاتصاف بذلك الفعل، فَيُنَزّلُ غيرُ المتّصِف منـزلةَ المتّصِف تحريضًا على الدّوام على عدم الاتصاف.

وكنداء الْـمُقْبِل عليك بقولك: "يا هذا!" لِيَتَوَجَّهَ إليك، ونداء من لا يُنادَى بِتَنْزِيله منـزلةَ مَنْ يُنادى، نحو قوله تعالى: { يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ} [يس : ٣٠] أي يا حسرةً أُحْضُرِيْ فهذا موضعُكِ. هذا آخر باب الإنشاء.

التمرين

١-عرّف الخبر والإنشاء، واشرح كلا التّعريفين؟

٢-اِقْسِمِ الإنشاءَ إلى الطلبي وغير الطّلبيّ، واذكر تعريف القِسمين، ثم اذكر أمثلة كلّ واحد منهما؟

٣-اكتب المسائلَ الثلاثة الْـمُهِمّة في باب الإنشاء؟

٤-ولماذا جاء المصنف بهذا البيت؟:

ألا أيّها الليل الطويلُ ألا اِنْجلِ

بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأمثلِ

٥-اشرح الجملة الثالثة (في البيت) شرحًا وافيًا؟

٦-وما فائدة الاستشهاد(الاستدلال) بهذه الآية: { وَلَا تَحْسَبَنَّ اللّٰهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ}

باب الوصل والفصل ومسائلهما

واعلم أنّ الغَرَضَ مِنْ مسائل الوصل والفصل هو معرفة أساليب العرب في ربط جُمَلِ الكلام بعضِها ببعضٍ، حتى يأتيَ المتكلمُ بكلام لا يُوقِعُ السّامعَ في لَبْسٍ.

والذي حَمَلَ البُلَغاءَ على ذِكْرِ مسائلِ الفصل والوصل في هذا الفن ثلاثة أمورٍ:

الأول–أن النُّحاةَ تكلموا على أحكام العطف، ولم يتكلموا على أحكام ترك العطف.

والثاني–أنهم تركوا كثيرا من مسائل المناسباتِ بين الجُمَل.

والثالث–أنه لما كان كالعطف وتركه قد يلاحظ فيهما أمورٌ ادّعائيّةٌ في الشعر والخطابة– ناسَبَ أن يُذكَرَ مع خصوصيات علم المعاني.

تعريف الوصل: الوصل هو عطف بعض الجُمَلِ على بعضٍ.

والفصل: تركُ ذلك العَطْفِ.

وحقّ الجمَل إذا ذُكِرَ بعضُها بعد بعضٍ أنْ تُذْكَرَ بدون عطفٍ؛ لأن كلّ جملةٍ كلامٌ مستقلٌّ بالفائدة؛ إلا أنّ أُسلوبَ الكلامِ العربيِّ الغالبُ فيه أن يكون بعضُه متّصلًا ببعضٍ بمعمولِيّة العوامل والأدوات، أو بالاتّباع، أو بالعطف.

نحو كتَبَ زيدٌ الكتابَ، وكسوتُ زيدًا جبّةً، وأخْبَرْتُكَ أنّ زيدًا قائمٌ، وهذا كله لأجل المعمولية للعوامل.

وكذلك بالأدوات، نحو مررتُ بزيدٍ، فإن انتهت قوةُ العامل أَخذَ من المعمولات ما يقتضي معناه، توَصّل إلى غير ذلك بالاتّباعِ من نعتٍ أو بيانٍ أو بدلٍ، وهذه التوابع في الحقيقة هي عين المتبوع في المعنى، فلا تُذْكَرُ جُمَلُ الكلام ولا كلماتُه تعدادًا إلا في المواقع التي يُقْصَدُ فيها التّعداد، نحو قوله تعالى: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}[الغاشية: ١٢، ١٣]

أو في حكاية المحاورات، نحو: { قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ}[هود: ٦٩]

وقولِنا: سُئِلَ فلانٌ فأجابَ. أو حين إملاء الحساب، نحو واحدٌ واثنان، أو قصد إظهار انفصال الجُمَلِ واستقلالها، كما في قوله تعالى{إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ}[الدخان: ١٥]

فعطف الجُمَلِ إمّا بالواو المقتضية لأصل التّشريك في الحكم، وإما بحرفٍ آخر يَدُلُّ على معنًى زائدٍ على التّشريكِ، أو على ضدّ التّشريك إذا وُجِدَ معنى ذلك الحرفِ: نحو الفاء و "حتى" و "أو" و "بل".

شرط صحة العطف: ثمّ شرط صحة العطف مطلقًا(في المفردات والجُمَل وبالواو وبغيرها) وجودُ المناسبة التي تجمع الجملة المعطوفة والجملة المعطوفة عليها، في تَعَقُّل العقول المنتظمة حسْبَ المتعارف عندالمتكلمين بتلك اللغة.

وهذه المناسبة لا تعدو التّماثل أو التضادَّ أو القرب من أحدهما، نحو زيدٌ يكتُبُ ويَشْعُرُ، وقوله تعالى: { وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ [الرحمن: ٧ - ١٠]

فقوله: "زيد يكتب ويشعر" مثال للتماثل، وقوله: "عمرو يعطي ويمنع" مثال للتّضاد. بخلاف قوله: زيد يكتب وينام، ويُعطي ويَنْظَمُ الشعر، وخرجتُ من السوق، وأَبْدَعَ امرؤُ القيس في الشّعر. فإن فيها قربَ التّماثل والتضاد، وإنّ كلّ ذلك كلام صادق.

ولابد أن يكون العطف في المقام الذي لاتوجد فيه المناسبة مُؤْذِنًا بمقصدٍ، مثل مقصد التشبيه في قول كعب: إن الأمانيّ والأحلامَ تضليلٌ". فإن كلامَه

على مواعيد سُعاد وأمانيها، لا كلام على الأحلام، (ولكن) لّما عطف الأحلام على الأمانيّ علِمنا أنه قصد تشبيه أمانيه الناشئة عن دعواها بالأحلام في اللذة وعدم التحقق.

(١)وقد يكون ذلك التّناسب موهومًا ومجرّد الدعوى في المقامات الشعريّة واللطائف: كقول الشاعر(محمد بن وُهَيْبٍ في مدحِ المعتصم العبّاسي):

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجَتِها

شمس الضحى وأبوإسحاقَ والقمرُ

(٢)وقد يكون التناسب غريبًا تابعًا لتناسب شيئين آخرين، كما في قوله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} [الرحمن : ٦] فإن التّناسب أوجدَه ما يأتي بعده من قوله تعالى:{ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ[: ٧] وقوله تعالى:{ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ} [: ١٠] لأن النجمَ من توابع السماء، والشجر من توابع الأرض.

ويكفي في هذه المناسبة التقارن في الغرض الذي سِيْقَ له الكلامُ، ولهذا كان العطف بالفاء و "ثمّ" و "حتىّ" أوسع في هذه المناسبة المشروطة؛ لأن الترتيب(الذي هو مفهوم الفاء) أو المهلة(مفهوم "ثم") أو الغاية (مفهوم

حتّى) كلها مناسبات كافية لتصحيح العطف؛ لأنها دالّة على التّقارن في الوجود، وهذه المقارنة مُهَيّئَةٌ للمناسبة ومُسَوِّغٌ للعطف، لكنه يزداد حُسنًا إذا قَوِيَ التّناسب، ولذا كان أصل الفاء التفريعَ مالم تُوجَد المناسبة.

ألا ترى كيف حَسُنَ العطفُ في قول عمرو بن كلثوم[٢]: ٢

نَزَلْتُمْ مَنْزَلَ الأضيافِ منّا

فَعَجَّلْنا القِرَى أنْ تَشْتِمُوْنَا

في هذا تَهَكُّمٌ، أي نزلتم بأرضنا لحربنا فبادَرْنا بقتالكم، فجعلَ نُزولَهم ضيافةً وقتالَه إياهم قِرًى.

وكيف يَقْبُحُ العطفُ بالفاء لو قلتَ: جاء زيد فَسُبّوهُ، ويزيدُ قبحًا لو قلتَ: جاء زيد فَنَهِقَ الحمارُ؛ لبعد المناسبة.وكيف يَحْسُنُ أن تقول: طَلَعَ الفجرُ فأَذَّنَ المؤذِّنُ.اُنظر إلى قول ابن زُمْرُك (الأندلسي):

هَبّ النّسيم على الرّياض مع السّحَر

فَاستَيْقَظَتْ في الدّوحِ أجفانُ الزُّهَر

٧ [٢]شرح المعلقات للزوزني "معلقة عمرو " (ص٢٢٢) برقم (٣٢)

ويكون دونه حسنًا قول القائل:

وطلع الفجر فاستقظ زيدٌ، إذا لم يكن الحديث (الكلام) قبل ذلك على زيد.

موضع الوصل:وإذا تحَقَّقْتَ هذا فاعلم (١)أنه يتعيّن الوصل إذا أُريدَ تشريك الجملة المعطوفة للجملة المعطوف عليها، في حكمها في الإعراب، كعطف الجُمَل المعمولة لعامل واحد بعضها على بعضٍ، أو التشريك في حكمها في المعنى، وإن لم يكن للمعطوف عليها محلٌّ من الإعراب.

والمراد من الحكم الذي يشترك فيه المعطوف والمعطوف عليه الكيفية الثابتة لمفهوم الجملة المعطوف عليها، مثل حكم القصر في قوله تعالى: {إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ} [الرعد : ٧]

فقد عُطِفَ جملة {ولكل قومٍ هاد} على جملة { إنّما أنتَ منذِرٌ} لأن المقصود تشريكهما في حكم القصر؛ إذ المقصود من الجملتين الرّدُّ على من اعتقد خلاف ذلك.وليس للجملتين محلّ من الإعراب.

مواضع تعيين الفصل:ويتعيّنُ الفصل(١) إذا أُريدَ التنبيه على أن الجملة الثانية منقطعة عن الأولى، أي غير مشاركة لها في الحكم الإعرابيّ.

نحو قوله تعالى: {قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ} [البقرة : ١٤ ، ١٥] لئَلّا يظنّ السّامعُ أنها من قولهم(المنافقين).

ولا مشاركة في مجرّد الحكم المعنويّ، حيث لم يكن هنا إعراب نحو قوله تعالى: إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ [الرعد : ٧] وقوله تعالى:{ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى [الرعد : ٨] ولم تُعْطَف جملة {الله يَعْلَمُ} لأنه لم يُقْصَد دخولُها في حكم القصر، إذ لا قصد للرد على معتقَد أن الله لا يعلم ما تحملُ كل أنثى، إذ لم يكن في المخاطبين من المشركين وأهل الكتاب من يعتقد ذلك، وكذا قولهم: "ماتَ فلانٌ رحمه الله" فلو عُطِفَ "رحمه الله" لظَنّ السامعُ أن الجملةَ الدّعائية إخبارٌ عن فعل الله معه.

فالفصل في هذه الأمثلة كلها لأجل الانقطاع بين المجملتين بعضها عن بعضٍ كما رأيتَ.

(٢)ويتعين الفصل أيضًا إذا كانت الجملة الثانية عينَ الأولى في المعنى، أو في محصّل الفائدة؛ لأن العطفَ يقتضي المغايرة، فالّتي هي عين الأولى في المعنى نحو قول الشاعر غيرِ المعروف:

أقولُ له ارْحَلْ لا تُقِيمَنّ عندَنا

وإلا فكن في الجهر والسّر مُسَلّمًا

فإن معنى "لاتقيمنّ" هو ما يفيده قوله " ارحل" فكانت الجملة الثانية كَبَدَلِ الاشتمال من الأولى.

والّتي هي عين الأولى في محصّل الفائدة (لأجل كونها تاكيدًا لها) مثالها قوله تعالى: {ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيه} [البقرة : ٢] فجملة {لاريب فيه} مؤَكّدةٌ لمعنى {ذلك الكتاب} .

ومن أنواع الوصل: عطف طائفة من الجمُلِ على مجموع طائفة أخرى بحيث تُعْطَفُ قصّة على قصّةٍ أو غرض على غرَضٍ في الكلام، فلا تُلاحظُ إلا المناسبة بين القصّة والقصّة، والغرض والغرَض، لا بين أجزاء كلّ من القصتين، حتى وَلِيَت الجملة من القصة المعطوفة إحدى جمل القصة المعطوف عليها ولا يُتَطَلّبُ وجه لتلك الموالاة؛ لأنها مولاة عارضة، ومثاله نحو عطف قوله تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ} [البقرة : ٢٥] على قوله: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا} [البقرة: ٢٣] لأنّ قوله {وإن كنتم في ريبٍ} مسوقٌ لبيان عقاب الكافرين، وقوله {وبشّر الذين آمنوا} مسوق لبيان ثواب المؤمنين، ونظيره من عطف المفردات قوله تعالى: {هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ} [الحديد : ٣] فإنّه لو قُصِدَ عطفُ "الظاهر" على "الآخِر" لم يَحْسُنْ، وإنما القصد عطف وصفين متقابلين، وكلّها لموصوفٍ واحدٍ.

عطف الإنشاء على الخبر وعكسُه:

وقد منع بعض علماء العربية عطفَ الإنشاء على الخبر[8]، وعطف الخبر على الإنشاء، والحق أنّ ذلك ليس بممنوعٍ؛ بل وهو كثير في كلام البُلَغاءِ، وقد

---

[8] قال ابن هشام: "عطف الخبر على الإنشاء وبالعكس": (١)مَنَعَهُ البَيَانِيُّون وابن مالكٍ في شرح باب "المفعول معه" من كتاب التسهيل، وابن عصفور في شرح الإيضاح، ونقله عن الأكثرين. (٢)وأجازه الصفار (بالفاء تلميذ ابن عصفور) وجماعةٌ، مستدلين بقوله تعالى{وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}[البقرة: ٢٥] وقوله({وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}[الصف: ١٣]

قال أبو حيان: وأجاز سيبويه: "جاءني زيد ومَنْ عمرو؟ العاقلان". على أن يكون العاقلان خبرا لمحذوف، ويؤيده قوله(قول امرئ القيس برقم (٦) في المعلقة):

وإن شفائي عَبرةٌ مُهْرَاقة   وهل عند رسمٍ دارسٍ من مُعَوَّل

وقول الآخر:

تُناغي غَزالاً عند بابِ ابنِ عامرٍ   وَكَحِّلْ أماقِيكِ الحسانَ بإِثْمِدِ

مغني اللبيب"الباب الرابع"(١ / ٦٢٨)

قال الزّمخشري في {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا} [البقرة: ٢٥]:فإن قلت : عَلامَ عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهى يصح عطفه عليه؟ (١)قلت : ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهى يعطف عليه إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصفِ ثواب المؤمنين ، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين،كما تقول: زيد يعاقب بالقيد والإرهاق ، وبشر عمراً بالعفو والإطلاق.

(٢)ولك أن تقول : هو معطوف على قوله : {فَاتَّقُوا} كما تقول : يا بنى تميم احذروا عقوبة ما جنيتم ، وبشر يا فلان بنى أسد بإحسانى إليهم. وفي قراءة زيد بن عليّ رضى اللهّ عنه: {وَبُشِّرَ} على لفظ المبنىّ للمفعول عطفاً على: (أُعِدَّتْ).الكشاف(١/ ١٠٤)

وقال الزمخشري في {وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [الصف: ١٣]:فإن قلت : علامَ عطف قوله وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قلتُ : على تُؤْمِنُونَ لأنه في معنى الأمر ، كأنه قيل : آمنوا وجاهدوا يُثِبْكُم اللهُ ويَنْصُرْكم ، وبشّر يا رسول اللهّ المؤمنين بذلك. الكشاف(٤ / ٥٢٧)

والحاصل: أن المسألة خلافية بين الأعلام مثل سيبويه وزمخشري، ولكلٍّ وجهةٌ هو مُوَلِّيها فاستبقوا الخيرات.

قال أبوحيان في آية سورة البقرة بعد ذكر كلام الزمخشري: وتلخص من هذا: أنّ عطفَ الجمَل بعضِها على بعضٍ ليس من شرطه أن تَتّفِقَ معانيُ الجمَلِ ، فعلى هذا يجوز عطف الجملة الخبرية على الجملة غير الخبرية ، وهذه المسألة فيها اختلاف: ذهب جماعة من النحويين إلى اشتراط اتفاق المعاني ، والصحيح أن ذلك ليس بشرط، وهو مذهب سيبويه.

وأجاز الزمخشري وأبو البقاء أن يكون قوله : {وبشر} معطوفا على قوله : {فاتقوا النار} ، ليكون عطف أمر على أمر، وهذا الذي ذهبا إليه (أي الزمخشريُّ وأبوالبقاء) خطأ؛ لأن قوله: {فاتقوا} جواب للشرط وموضعه جزم ، والمعطوف على الجواب جواب، ولا يمكن في قوله: {وبشر} أن يكون جوابا؛ لأنه أمر بالبشارة ومطلقا، لا على تقدير إن لم تفعلوا، بل أمر أن يبشر الذين آمنوا -أمرا ليس مترتبا على شيء قبله- وليس قوله:{وبشر} على إعراب ما مثّل به(الزّمخشريّ) من قوله : يا بني تميم إلخ ، لأن قوله : احذروا لا موضع له من الإعراب ، بخلاف قوله: {فاتقوا} . البحر المحيط (١ / ١٧٩)

قال تعالى: {وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص: ١٧] عطفَ الله {هل أتاك} على أخبار داود.

وقد يُخالف الظاهر فيؤتى بالوصل في مقام الفصل وبعكسه لقصد دفع إيهامٍ نشَأَ عن ارتكابِ مقتضى الظاهر نحو قول شاعرٍ غير المعروف:

وتَظُنُّ سلمى أنّني أَبْغِيْ بها

بدَلًا أُراها في الضّلال تَهِيمُ

قال سيبويه: وقد يَحْسُنُ ويستقيمُ أنْ تقولَ: عبدُ الله فاضربْه، إذا كان مبنيًّا على مبتدإٍ مُظْهَرٍ أو مُضْمَرٍ، فأمّا فى المظهر فقولُك هذا زيدٌ فاضربْه، وإن شئت لم تُظْهِرْ "هذا"، ويَعمل كعمله إذا أظهرته، وذلك قولك: الهلالُ واللهِ فانظرْ إليه، كأنّك قلت هذا الهلالُ ثم جئتَ بالأمر،ومِمّا يَدُلُّك على حُسنِ الفاء ههنا أنّك لو قلت: هذا زيدٌ فحَسَنٌ جميلٌ،كان كلاماً جيّداً، ومن ذلك قول الشاعر:

وقائلةٍ خَوْلانُ فانْكِحْ فتاتَهُمْ　وأُكرومَةُ الحَيَّيْنِ خِلْوٌ كما هِيَا

(كتاب سيبويه "باب الأمر والنهي" (١ / ١٣٨) أي هذه خولانُ. خِلوٌ: فارغة لايسأل عنها أحد، وكل يشير إلى فتاة خولان.

كان الظاهر عطف جملة "أُراها" لكنه فصَله لئَلّا يَتَوَهّمَ السامعُ أنّ ذلك مما تظنُّه سلمى، فالوصل سببٌ منَعَ منه مانعٌ.

وكما جاء الوصل في نحو قولهم: "لا وأَيَّدَك اللهُ" ، فإن الظاهر الفصل؛ لأن الجملتين غير مشتركتين في الحكم؛ ضرورةَ أنّ إحداهما خبرٌ والأخرى إنشاءٌ، فقد وُجِدَ مانع الوصل، ولكنّه خَلْفَه مقتَضِيّ الوصل؛ إذ لو فُصِلَ لَتُوُهِّمَ الدّعاء بنفي تأييده.

التمرين

١-ماهو الغرَض من ذكر مسائل الفصل والوصل؟

٢-ماهي الأمور الثلاثة المهِمّة في "الفصل والوصل"؟

٣-عَرّف الوصل والفصل؟

٤-ماهو الغالب في أسلوب الكلام العربي؟

٥-ماهي أسباب الاتصال بين الجُمَل في كلام العرب؟

٦-بَيِّنْ شرطَ صحة العطف ماهو؟

٧-ماهو الأمرُ الضروريُّ في العطف عند اِنْعِدامِ المناسبة؟

٨-اذكر نوعَيّ التّناسب بين المعطوف والمعطوف عليه؟

٩-ما هو التناسب بينَ المعطوف والمعطوف عليه في قوله تعالى: {وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ} ؟

١٠-لماذا اِسْتَشْهَدَ الشّاعر بقوله:

ثلاثةٌ تُشْرِقُ الدنيا ببهجَتِها

شمسُ الضّحى وأبوإسحاقَ والقمرُ

١١-اذكر محلّ تعيين الفصل والوصل؟

١٢-ماذا تقول في جواز عطف الإنشاء على الخبر وعكسه؟

الإيجاز والإطناب والمساواة

وهذه الثلاثةُ أساليبُ معروفةٌ استخدمها العربُ وبُلَغاءُهم، وهي معايرُ صُنْع الكلام الفصيح عندهم.

والأصل في الكلام المساواة، أي كون اللفظ على مقدار المعنى، بأن يكونَ لكلّ معنى يَقْصِدُه المتكلمُ لفظٌ يدلّ عليه، مذكورًا كان أو مُقَدَّرًا، والمقدّرُ كالضمير المستَتِرِ في فعل الأمر وغيره من الأفعال، وكالمستثنى منه المحذوف في الاستثناء المفَرّغ، فهما كالمذكور.

تعريف الإيجاز: فالإيجاز هو تأديةُ المعنى المراد بلفظٍ أقَلّ من ذلك المعنى.

والإطناب: هو تأدية المعنى المراد بلفظٍ أكثر منه.

والمساواة: وهي تأدية المعنى المقصودِ بلفظٍ مساوٍ لمعناه في المقدار.

نحو قوله تعالى: {وَاللهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ} [يونس : ٢٥]

مثال الإيجاز: نحو قول "سَلْمٍ الخاسِرِ"[٩]: ٢

---

٩ [٢]هو سَلْمُ الخَاسِرُ بنُ عَمْرِو بنِ حَمَّادٍ، من فُحُولِ الشعراء، من تلامذةِ بَشَّارِ بنِ بُرْدٍ، (من شعراء العهد العباسي)مَدَحَ المَهْدِيَّ، وَالرَّشِيْدَ، ثم نَسَكَ، ثمّ مَرَقَ(أي ترك النّسك

مَنْ راقبَ النّاسَ ماتَ غمًّا   وفازَ باللّذّةِ الجُسُوْرُ

مثال الإطناب: قوله تعالى: {إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا [المعارج : ١٩ – ٢١]

ومثل قول (أوس بن حَجَرٍ)[٣]:

الألْمَعيُ الذي يَظُنُّ بكَ الظَّنْ   نَ كأنْ قد رأى وقد سمعاَ

ومن أمثلة الإطناب:التّكرير في مقام التّهويل،نحو قوله تعالى: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ [المرسلات:١٥، ١٩، ٢٤ ، ٢٨، ٣٤، ٣٧ ، ٤٠، ٤٥ ، ٤٧ ، ٤٩] في سورة المرسلات.

مثال المساواة: قوله تعالى: {وَلَا يَحِيقُ الْـمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ} [فاطر : ٤٣] ومثلُ قول (بَشّار بن بُرْدٍ):

من راقبَ النّاس لم يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ   وفاز بالطّيّبات الفاتِكُ اللَّهِجُ

والعبادة)، وباعَ مُصْحَفَهُ، واشْتَرَى بِثَمَنِهِ دِيْوَاناً، فَلُقِّبَ: بِالخَاسِرِ.وقد أَجَازَهُ الرَّشِيْد مرَّةً بِمِائَةِ أَلْفٍ.مات قَبْلَ (هارون) الرَّشِيْدِ. سير أعلام النبلاء(١٥ / ١٩٢) وهذا البيت أخذه من قول شيخِه بشار بن بُردٍ الآتي بعد أسطر في المتن.

[٣] الكامل في اللغة والأدب للمبرّد "أوس بن حجر يرثي فضالة"(٤/ ٣٢)

واعلم أنّ مبنى كلامِ العربِ على الإيجازِ ما وجدوا إليه سبيلا، لأنّ الأمة العربية أُمّةٌ ذَكِيّةٌ فيكون بناءُ كلامها على مراعاة سبقِ أفهامِها.

وقولُ الْـمُبَرّدُ في كامله:"مِنْ كلامِ العربِ الاخْتِصارُ (الإيجاز) المفهم، والإطناب المفخم[ ]"، بيانٌ لتنويع الكلام لاقصدُ التساوي بينهما (الإيجاز والإطناب).

أنواع الإيجاز: وهو يكون ١-إيجازُ حذفٍ، ٢-وإيجازُ اختصار.

(١)فإيجاز الحذف: كحذف المسند إليه، والمسند

والمفعول،والتحذير،والإغراء،

وحذف المفعول أكثر أنواع الحذف في الإيجاز، نحو (قول القائل): "قد كان منكَ ما يسوءُ"، أي كلَّ أحدٍ. ونحو قوله تعالى:{والله يدعو إلى دارالسلام}

وحذفُ المضاف نحو قوله تعالى:{وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ} [يوسف : ٨٢]

وحذف الصّفة، نحو قوله تعالى: {وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ} (أي صالحةٍ) {غَصْبًا} [الكهف : ٧٩]

---

[٣] الكامل(١/ ٢٧) ١

وحذف الجملة أو الجُمَل التي يدُلّ عليها السّياق، نحو قوله تعالى: {أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ}[الشعراء : ٦٣] أي فَضَرَبَ فانفلق، وقوله تعالى: {فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ}[يوسف: ٤٥، ٤٦] أي فأرْسَلوهُ.

وكثير من أمثال العرب يشتمل على إيجاز الحذف.

(٢)وإيجاز الاختصار: أداء المعاني بألفاظٍ أَقَلّ منها عددًا بدون حذفٍ، بل بقصد إفادة الألفاظ عدّة معانٍ، نحو قولهم في المثل: "القتلُ أنفى للقتل"، وقوله تعالى: {وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ}[البقرة : ١٧٩]

وقوله صلّى الله عليه وسلم في الحديث: " لِيَكُنْ ثوبُك إلى الكعبين؛ فإنه أنقى وأبقى" . وقول الْـمَعَرِّي: " وأولوا الفضل في أوطانهم غُرَباءُ"، أراد أن يقول: إنهم مخالفون لأحوال عامّة النّاس.

وكثير من أمثال العرب يشتمل على إيجاز الاختصار، وكذلك حِكَمُ الحُكَماء.

التمرين

١-ما هو الأصل في تعبير الكلام عند البُلغاء؟

٢-عرّف الإيجاز والإطنابَ والمساواة؟

٣-اذكر أمثلة الثلاثة من الأبيات؟

٤-على أيّ شيءٍ يكون مبنى كلام العرب؟

٥-اكتُبْ أنواعَ الإيجاز وعرّف كُلًّا من النوعين(إيجاز الحذف وإيجاز الاختصار)

٦-بِمَ يشتمل أمثال العرب وحِكَمُ الحُكماء؟

الفنّ الثاني البيان

البيان في اللغة الإظهار. وفي الاصطلاح: هو علمٌ به يَعْرِف البليغُ كيفيةَ إيرادِ المعنى الواحد بِطرُقٍ مختلفة في وضوح الدلالة على حسَب مقتضى الحال.

فتلك الطّرُق هي الحقيقة والمجاز والتشبيه والتصريح والكناية.

١-التشبيه:(١)تعريف التشبيه: وهو الدلالة الصّريحة على إلحاق شيءٍ (الْـمُشَبَّه) بشيءٍ آخرَ(المشبّه به) في وصفه الْـمُشْتَهر، تقريبًا لكمال الوصف الذي جُعِلَ وجهًا للتشبيه، كقولك: هذا الفرسُ كالطّائر في سرعة المشيِ، أو نحو "زيد كالأسد في الشّجاعة.

والمراد بالدلالة الصّريحة كونُ الدلالة بلفظٍ دالٍّ على الإلحاق، ملفوظًا كان أو مُقَدَّرًا، وخَرَجَ به الاستعارة والتجريد عن تعريف التشبيه.

(٢)أركان التشبيه: وأركانه أربعة: (طَرَفاهُ وهما) المُشَبَّهُ، والْـمُشَبَّهُ به، ووجه التشبيه (وهو ما يشترك فيه الطّرفان)، وأداتُه، وهي ما يدلّ على الإلحاق والاشتراك.

وأمّا الطرفان: فقد يكونان حِسِّيَيْنِ، وهو الغالب. وقد يكون عَقْلِيَّيْنِ، كتشبيه السّيوف بأنياب الأغوال، والعلمِ بالنّور.

وأما وجه الشِّبْهِ[٣]: فهو ما يتوَهَّمُه المتكلم وصفًا جامعًا بين الطرّفين، سواء كان ثابتًا في نفس الأمر كالشّجاعة في الأسد أم كان ثابتًا في العرف، كتشبيه العجوز بالسّعلاة، وتشبيه الْـمُعاقَبِ على ذنبِ غيره بسُبّابة الْـمُتَنَدّم حينَ يَعَضُّها، كما في قول ابن شرف القَيرَوانيّ:

غيري جَنَى وأنا المعَاقَبُ فيكم

فكأنّي سُبّابةُ الْـمُتَـنَدِّمِ

أم كانا ثابتين في الوهم والخيال، كتشبيه النّجومِ في الظلام بالسُّنَنِ في خلال الإبتداع، في قول القاضي التّنوخي المتوفى ٣٤٢هـ:

وكأن النجومَ بين دُجاها سنَنٌ لاح بينهُنّ ابتداعُ

والأكثر حذف وجه الشِّبْه في الكلام وقد يُذكر لخَفائه.

وأداة التشبيه: الكاف، وكأنّ، ومِثْلُ وشبهٌ، ومَثَلٌ ونحوها.

وهي إما أن تكون ظاهرةً نحو: هو كالبحر، وكلامُه كالدُّر.

---

[٣] تهذيب اللغة(٦/ ٥٩)

أو مقدَّرةً، نحو: هو أسدٌ، وقوله تعالى: {صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ [البقرة : ١٨] ويسمى (في تقرير أداة التشبيه)بالتشبيه البليغ، وليس باستعارة على أصح القولين.

تشبيه التمثيل: واعلم أن وجه الشبه إذا كان وصفًا منتزَعًا من الأمرين فأكثر، سُمِّيَ ذلك التشبيه تشبيه التمثيل،ثم قد يكون طَرَفاه مُرَكّبَين،كقول بشار:

كأنّ مُثارَ النّقْعِ فوقَ رُؤوسِنا

وأسيافِنا ليلٌ تَهَاوَى كواكبُهُ

وقد يكونان مفردين: أحدُهما أو كلاهما، كقول النّابغة:

أَكْلَفْتَنِيْ ذَنْبَ امْرِىءٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِي الْعُرِّ يُكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

فإنّه شَبّه نفسَه بالبعير الْـمُكَوّى لمرض غيره؛ لأن ذلك هو المقصود، كما شبّه المرأ بذي العُرّ [٣]، وكلا المشَبّهَين مفردٌ، والمشبه به الهيئة.

[٣] أدب الكاتب(ص ٢٤٠) وفيه: العَرُّ الجَرَب، والعُرُّ: قُرُوحٌ تخرج في مَشَافِرِ الإبل وقَوَائمها . وقال ابن عبد ربه الأندلسيّ: ولم يقل أحد في هذا المعنى(الاستعطاف والاعتراف) أحسنَ من قول النابغة الذُّبْيَانِيّ للنعمان بن المنذر (المَلِك):

وتَرَكُّبُ الطرفين معًا يستلزم تَرَكُّبَ وجهِ الشِّبْه.

التشبيه البليغ: وما حُذِفَتْ أداتُه يسمّى التّشبيه البليغ، (١) فيكون فيه المشبه به خبرًا عن المشبّه، نحو "وجهُكَ البدرُ" ، في قول الشاعر:

وجهُك البدر، لا بل الشمس لو لم

تَقْضِ للشمس كسفةٌ وأفولٌ

(٢) أو صار المشبه به حالا، نحو قوله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بِنَاءً} [البقرة : ٢٢]

ومنه قول أبي الطّيّب:

أتاني أَبيتَ اللَّعْنَ أنك لُـمْتَنِيْ وتلك التي تُسْتَكّ منها المسامعُ

أَكَلَّفْتَنِيْ ذنبَ اِمرئٍ وتركتَه كَذِي العُرّ يُكوى غيرُه وهو راتع

(العقد الفريد: كتاب المرجانة في مخاطبة الملوك، الاستعطاف(١/ ١٤٢)

أَبَيْتَ اللّعنَ: من تحية الملوك في الجاهلية، ومعناها: أَبَيْتَ أنْ تأتِيَ ما تُلعَنُ عليه. استَكّ مسامعُه: صَمّتَ، وضاقَتْ وانسَدّتْ، ويقال: ما استَكّ في مسامعي مثلُه: مادخل. وقوله: "كذي العُرّ يكوى غيرُه وهو راتع" أي كالجمل المريض الأجرب الذي يتركُه الرّاعي يرتع و يَكْوِي الجملَ الصحيح.

بدَتْ قمرًا ومَالَت خُوط بانٍ وفاحَتْ عنبرًا ورَنّتْ غزالًا[٤]

(٣)وقد يكون المشبه به مضافا إلى المشبّه، نحو قوله تعالى: {تَـمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ} [النمل : ٨٨] ونحو " ذهب الأصيل" و"لُجين الماء"،في قول شاعر غير معروف:

والريحُ تَعْبَثُ بالغصوم وقد جرى ذهبُ الأَصيل على لُجُيْن الماء[٥]

---

[٤] هذه أسماء وضعت موضعَ الحال، والمعنى: بدَتْ مشبّهةً قمرًا في حسنها، ومالَتْ مشبّهة غصنَ بانٍ في تَثَنِّيْها وحسنِ مَشيِها، وفاحت مشبّهةً عنبرًا في طِيبِ رائحتِها، ورنّت مشبّهة غزالا في سَواد مُقلتها، وهذا يسمى التدبيج في الشعر ومثله،

سفرن بُدورًا وانتقبن أَهِلّةً ومَسْنَ غُصونًا والْتَفَتْنَ جآذرًا

شرح ديوان المتنبي للواحدي النيسابوري(١ / ١١١) الخُوطُ: الغُصنُ النّاعِمُ، ج: خِيطان. البان: شجرٌ سَبْطُ القَوام ، لَيِّنُ الورق، يُشَبَّه به الحِسان في الطّولِ واللّين. السّبطُ: الطول، والحسن.

[٥] الشعر لابن خفاجة الأندلسي (المتوفى ٥٣٣هـ): وهو أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الفتح ابن خَفَاجة الخَفَاجيُّ الأندلسيّ. قال عماد الدين الكاتب الأصبهاني: قال ابن خفاجة:

لله نهرٌ سالَ في بطحاء أشهى وُروداً من لَمَى الحسناء

والريحُ تعبَثُ بالغصون وقد جرى ذهب الأصيل على لُجُيْن الماء

-وقد يُعكَسُ التشبيه ادّعاءً، كقول محمد بن وُهَيْبٍ:

وبدا الصّباحُ كأنّ غُرّتَه وجهُ الخليفة حين يُمْتَدَحُ

خريدة القصر لعماد الأصبهاني "تذكرة ابن خفاجة الأندلسيّ" (٣/ ١٥)

الأصيل: الوقت، حين تَصْفَرُّ الشمس. و اللُّجَيْنُ (على صورة المصَغَّر): الفضة. شبّه اصفرار الشمس في الأَصيل بالذّهب، وشبّه الماء بالفضة.

وتصوير الأنهار شائع في شعراء الأندلس، قال عليّ بن ظافر الأزدي: ركب الأستاذ أبو محمد بن صارة مع أصحابٍ له في نهر إشبيلية (بالأندلس)، سال أصيلُها على لُجين الماء، وطارت زَوارقها في سماء الماء عقباناً، وأبدى نسيمُها من الأمواج والدّارات سرراً وأعكانًا، ففي زورق يجول جولان الطرف، ويسود اسوداد الطرف، فقال بديهاً:

تَأَمّل حالَنا والجوّ طلْقٌ مُحَيّاهُ وقد طفلَ المساء

بنهرٍ كالسّجَنْجَلِ كوثَرِيْ تعبَس وجهُها فيهِ السماء

واتفق أن وقفَ أبو إسحاق بن خفَاجة على القطعة، فاستظرفها واستطابها.

بدائع البدائه (ص ١٠٩) ولابن خفاجة:

والشَّمْسُ تجْنَحُ لِلْغُرُوْبِ عَلِيلَةً والرَّعدُ يَرقِي والغَمَامَة تَنْفُثُ

سير أعلام النبلاء (٣٩/ ٤٩) ومن يَقْدِرُ على مثله؟

وفي الأصل وجه الخليفة مشبّهٌ وغرّة الصباح مشبه به، فَعَكَسَ الشاعرُ.

-وقد يُحذَفُ المشبه به فيكون التشبيه مكنِيًّا (استعارةً بالكناية) ويُشار إلى المشبه به بذكر بعض ما هو من خصائصه كقول النابغة[٦]: ٣

فبتُّ كأنّ العائداتِ فَرَشْنَ ليْ هَراساً، به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ

فالمشبه به هو المريض الذي يشتدُّ ألمُه بالليل.

وقد يحذفه الشاعر؛ لأن المقصود تشبيه نفسه لا تشبيه العوائد، وإنما جاء بذكر "فرشنَ لي" زيادةً في تهويل آلامه.

وهذا النوع تتفرّعُ منه الاستعارة المكنية، ولم يذكره المتقدّمون.

---

٦ [٣]ديوان النابغة الذبياني(١ / ٦) وتمامه:

أتاني أَبَيْتَ اللعنَ أنّكَ لُمْتَنِيْ و تلكَ التي أَهْتَمّ منها وأنصبُ

فبتُّ كأنّ العائداتِ فَرَشْنَنِيْ هراساً، به يُعلى فِراشي ويُقْشَبُ

لئنْ كنتَ قد بُلِغْتَ عني خِيانَةً لَمُبْلِغُكَ الواشيُّ أغَشُّ وأكذَبُ

الهُراسُ: شجرٌ أو بَقْلٌ ذو أشواك، في حديث عمرو بن العاص: كأَنّ في جَوْفي شوكة الهَراس. والعائداتُ: المُمَرّضات، التي تخدِمُ المريض.

٢-تعريف الحقيقة: هي الكلمة المستعملة فيما وُضِعَتْ له كاستعمال الأسد في الحيوان المفترِس.

٣-تعريف المجاز: والمجاز هو اللفظ المستعملُ في غير ما وُضِعَ له لعلاقة ومع قرينة مانعة من إرادة المعنى الحقيقيّ.

وإنما قال (المؤلف) اللفظ دون الكلمة ليَشْمُل هذا التعريفُ المجازَ المفرد والمجاز المركب (كما سيأتي).

وإنما قيلَ: "المستعمل في غير ما وضِعَ له" دون غيره من العبارات؛ لأن الكلمة إنما تُعَدُّ مجازًا إذا استعملتْ في غير المعنى الذي وُضِعَت له في اللغة، سواء كان استعمالها في المعنى المجازيّ أقَلّ من استعمالها في المعنى الحقيقيّ أم مُساوِيًا أو أشْهَر؛ فإن المجاز قد يُشتَهر ويسمى بالحقيقة العرفية، كالزكاة والتّيمّم، ومثل الفاعل والقياس.

وقولي: " لعلاقةٍ" لإخراج الغلط وإخراج المشاكلة الآتية في البديع.

وقولي: "مع قرينة مانعةٍ" لإخراج الكناية وبيان شرط ماهية المجاز.

والقرينة: هي مايفصح عن المراد لا بالوضع.

وهي إما كلمةٌ نحو "رأيتُ أسدًا يرميْ"، وإما صيغةٌ نحو قول المستنجد[٧]: "أينَ الأُسودُ الضارون؟": فإنّ صيغةَ جمع العُقَلاء (الضارون) قرينةٌ، وإلا لقال: "ضارية".

وإمّا تكون حالَ الكلام نحو لقيتُ أسدًا، والمتكلم من أهل البلد.

وتقييد (القرينة) بالمانعة لإخراج القرينة المعينة لمعنى اللفظ، كقرينة إرادة أحد معاني اللفظ المشترك، أو التي تُعَيِّنُ نوع المجاز من بين أنواع يَحْتَمِلُها الْـمَقامُ؛ فإن تلك لا بُدّ منها إذا لم يكن المراد ذَهابُ نفس السامع كلّ مذهبٍ ممكنٍ، كما تقول: هو بحرٌ: فيَحتَمِلُ الكرم والعلم.

والعلاقة: هي المناسبة التي بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي، والعلاقات كثيرة أوصَلَها بعضُهم إلى ثمانٍ وعشرين.

وأشهرها المشابهة والسّبَبِيّة والمجاورة والبعضية، ويُعَبّر عنها بالجزئية، وكذلك من أشهرها التقييد، أي إطلاق اللفظ الموضوع لمعنى مقيدٍ على المعنى المطلق، فهذا إزالة القيد.

وإذا كانت علاقةُ المجازِ المشابهةَ-سُمِّيَ استعارةً.

---

[٣] أي الذي يطلُب النصر عند الشدّة.

٧

وإنْ كانت غيرَ المشابهة سُمّيَ مجازًا مرسلا.

وأهم أنواع المجاز هو الاستعارة، لشدّة عناية البُلَغاء بالتّشبيه وتنافسهم فيه منذُ زمنِ امرئ القيس.

وكذلك سَمَّوا ما لم يُبْنَ على المشابهة بالمجاز المرسل؛ لأنه المطلَق عن التّشبيه الْـمُعتبَرِ عندهم.

بحث المجاز المفرد والمجاز المركّب:

تعريف المجاز المفرد: فالمجاز (المرسل) هو اللفظ المفرد الذي استعملَ في غير الموضوع له لعلاقة غير التشبيه.

فمثال المجاز المفرد (المرسل): كإطلاق الأَيادي على النِّعَمِ في قول القائل: "أيادي لم تُمْنَنْ وإنْ هي جَلّتِ" وكإطلاق العين على الرّقيب(المراقب)،وإطلاق اللّسان على الذِّكْرِ الحسَن في قوله تعالى: {وَاجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء : ٨٤]

الاستعارة المفردة: وهي تجري في الأسماء والأفعال والحروف، فكلُّ كلمةٍ من هذه الأنواع إذا استعملتْ في غير ما وضعت له لأجل مشابهةِ "المعنى المستعملِ فيه" "المعنَى الموضوعَ له" فهي استعارة.

فإستعارة الأسماء كثيرة، وأما استعارة الفعل، فنحو قول القائل: "فلسانُ حالي بالشكاية أنْطَقُ"

واستعارة الحروف في قوله تعالى: { وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ [طه: ٧١] وقوله تعالى: { فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص: ٨]

ولا يُستَعارُ الاسم العلم إلا إذا تَضَمّنَ وصفًا مُشْتَهَرًا كـ "حاتم" بالجود، و"سحبان" بالفصاحة، فيستعار حاتم للجود وسحبان للفصاحة.

تقسيم الاستعارة إلى مُصَرَّحةٍ ومَكْنِيةٍ:

فالمشابهة المصَرّحة: هي التي صُرِّحَ فيها بلفظِ المشبّه به، واستعمل في المشبّه، ملفوظًا كان المشبّه أو مقَدَّرًا.

نحو: لدَيّ أسدٌ، أي الرجل الذي كالأسد.

ونحو: قول المجيب: "نعم" لمن قال له مثَلًا: تُنَاغِيْ غزالًا عند باب ابن عامرٍ"[8]. ٣

٨ [3] هذا البيت أورده العلماء في بحث عطف الإنشاء على الخبر وبالعكس، ولم أعرفْ قائلَه:

تُنَاغِي غَزَالًا عِنْدَ بَابِ ابْنِ عَامِرٍ

والاستعارة المكنية(التي يقال لها استعارة بالكناية): هي أنْ يُستعار لفظ المشبه به للمشبّه، ويحذَفُ ذلك اللفظ المستعار، ويُشار إلى الاستعارة بذكر شيءٍ من لوازم المشبّه به، نحو قول أبي ذُؤَيْبٍ:

وإذا الْـمَنِيَّةُ أَنْشَبَتْ أَظْفَارَها   ألفيتَ كلَّ تَمِيْمَةٍ لا تَنْفَعُ

فقد ظهر من ذِكْرِ الأظفار أنّ المنِيّةَ شُبِّهَتْ بالسَّبُعِ، أي المشبّه به هو السبع.

وَكَحِّلْ مَآقِيَكِ الْحِسَانَ بِإِثْمِدِ

و قوله: "وكحّلْ" بصيغة الأمر، لا بصيغة المصدر.قوله: تُنَاغِيْ: المناغاة: المحادثة والمناجاة، يقول الشاعر للمخاطب: أنتَ في أحسن الحال، لأنك تحادث امرأةً حسناء عيناء كالغزال عند باب ابن عامر؟ فالمشبه به مقدرٌ.

قال ابن منظور: نغَى (ينغِيْ): النَّغْيَةُ مثل النَّغمة: وقيل النَّغْية ما يُعْجِبك من صوت أَو كلام، وسمعتُ نَغْيَةً من كذا وكذا أَي شيئاً من خبر.

يقال:ما سمعت له نَغْوةً، أَي كلمة ونَغَى إِليه نَغْيةً قال له قولاً يفهمه عنه، والُمناغاةُ المغازَلة والُمناغاة تكليمك الصَّبيَّ بما يَهْوى من الكلام ،والمرأَة تُناغي الصبيَّ أَي تكلمه بما يُعْجِبه ويَسُرُّه، وناغى الصبيَّ كلَّمه بما يَهواه ويَسُرُّه قال (الشاعر):

ولم يَكُ في بُؤْسٍ إِذا بات ليلةً   يُناغي غَزالاً فاتِرَ الطَّرْفِ أَكْحَلا

(لسان العرب:١٥/ ٣٣٥)

وقول أبي فِراسٍ:

فلما اشتدت الهيجاء كنّا أَشَدَّ مَخَالِبًا وأَحَدُّ نابًا

شبّه الشاعر أنفسَهم بالسّبُع، ثم أَثْبَتَ لهم المخالب والأنياب، وهي من لوازم المشبه به (السّبُع) ولا يضرّ بقاء لفظ المشبه في الكلام، وهو قوله "كنّا"؛ لأنه صار مذكورا لغير قصد التشبيه، بل لإكمال معنى اللازم المذكور، ألا ترى أن يجيء مضافًا إليه، كما في بيت أبي ذُؤَيبٍ(إضافة أظفار إلى ضمير "ها" الذي المراد منه السّبُع. أو يكون مذكورًا في الخبر السابق كما في بيتِ أبي فِراس، فإن المراد بالمنية فيه المشبه.

واعلم أن هذا اللازم الذي هو من ملائمات المشبه به في الاستعارة المكنية قد لايكون صالحًا للاستعارة، فإن الإتيان بهذا اللّازم إذًا لِمُجَرّد كونه من ماهية اللفظ المحذوف (لفظ المشبه به) كالأظفار المذكور في بيت أبي ذُؤَيْبٍ، وكقول لبيدٍ في مُعَلّقَته:

وَغَداةِ ريحٍ قَد كَشَفْتُ وَقِرَّةٍ إِذ أَصبَحَت بِيَدِ الشّمالِ زِمامُها[٩]

[٣]الزوزني:القَرَّةُ(والقِرّةُ) والقَرُّ: البرد،يقول: كم من غداةٍ تَهُبُّ فيها الشّمال وهي أبرد الرّياح، وبرد قد ملكتِ الشمالُ زمامَه، قد كففت عاديةَ البرد عن الناس، بنحر الجُزُرِ (جمعُ

فشبّه الشاعر ريح الشمال براكب أمسك بزمام فرسٍ في البَرْدِ وجعل لها (للرّيح) يدًا ولا تصلُحُ اليد لأن تكون تشبيهًا لشيءٍ في معاني هذا البيت.

وكذلك قوله تعالى: { فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء : ٤] فقد شُبّه المالُ المأخوذ بالطعام والشراب، وجُعِل له الْـهَناءُ والْـمَرْيُ.

وقد يكون هذا اللازم صالحًا للاستعارة، كما في قوله تعلى: { الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ} [البقرة : ٢٧] فإنّ النّقضَ من لوازم الْـحَبْلِ الذي شُبِّهَ به العهد، ومع ذلك يَصِحُّ أن يكونَ مستعارًا لإبطال العهد.

وكالأظفار في قول حُسين بن الضّحّاك يُخاطِبُ عمرو بن مَسْعَدَةَ ليَشْفَعَ له لدى المأمون الخليفة:

أنتَ يا عمرو قوَّتِيْ وحياتي

ولساني وظُفْريْ(٤) ونابِيْ

جَزورٍ) لهم؛ وتحرير المعنى: وكم من بَرْدٍ كففتُ غرب عاديته (غرب الشيء: حِدَّتُه) بإطعام الناس. (معلقة لبيد بن ربيعة (ص ١٩٤) برقم (٦٢).

(٤) الظُّفُرُ والظُّفْرُ، ج: أظفار: المادّةُ القرْنِيّة في أطراف الأصابع. و الظَّفَرُ (بفتح الظاء والفاء): الغلبة، والفوز. يقال: ظَفَرَ الرَّجُلُ يَظْفِرُ مثل ضرب يضرب ظفَرًا: طالَ ظُفُرُه وعَرُضَ. وفلانٌ على عدوّه وبعدُوّه: غلب عليه وقهره. والشيءَ وبه: فاز به وناله.

فإنه أراد تشبيه نفسه بِسَبُعٍ، وتشبيه المخاطب بالشيء الذي به يَدْفَعُ السَّبُعَ عن نفسه، وذلك لا يُبْطِلُ دلالتَه على الاستعارة المكنية؛ لأن مجَرَّدُ إشعار اللفظ بلازم من لوازم المشبّه به المكنى يكفي في كونه دليلا على الإستعارة المكنية.

تعريف المجاز المركب: وهو الكلام التّامّ الْـمُستَعْمَلُ في غير ما وضِعَ له للدّلالة على ذلك المعنى لعلاقةٍ ومع قرينة مانعة عن المعنى الوضعي.

ولا يُخْتَصّ المجاز المركب بعلاقة المشابهة، بل قد تكون علاقته غير المشابهة، كالخبر المستعمل في التّحَسُّر لعلاقة اللزوم، نحو قول الشاعر:

"هواي مع الرّكبِ اليمانين مُصْعِدٌ"

وكالإنشاء المراد به الخبرُ، كقول القائل:" جاؤوا بعذقٍ هل رأيتَ الذِّئْبَ قطّ"، فيسمّى حينئذٍ مجازًا مركّبًا فقط.

وقد تكون علاقته المشابهة فَيُسَمّى استعارةً تمثيليةً، أو تمثيلا، نحو قوله:"إنّي أراكَ تقدّم رجلًا وتُؤَخِّرُ أخرى"، شُبّهَتْ حالةُ التّرَدُّد في الرّأي بحالة التّرَدُّد في المشيِ، واستُعيرَ المركب الدال على التردد في المشي للدلالة على معنى التردد في الرّأي.

ومثله قول عبدالله بن المعتزّ[٤]:

اصبر على مَضَضِ الحسو دِ فإنّ صبرك قاتله

فَالنّارُ تَأكُلُ نفسَها إنْ لم تجد ما تأكله

فقوله: "فالنّارُ تأكلُ إلخ" مركّبٌ مستعمل في غير ما وُضِعَ للدّلالة على معناه؛ إذ هو الآن مستعملٌ في معنى: أن الحسود يرجِعُ وبالُ حسده عليه، ولا يَضُرُّ به إلا نفسه، كالنّار تأكلُ نفسها إذا تُرِكَتْ ولم يُلْقَ فيها شيءٌ تحرقه.

وكذلك قولهم: "انتهز الفرصةَ"، شُبِّه هيئة مبادرةٍ للفعل بالمبادرة لنوبة شرب الماء.

الاستعارة التمثيلية:والاستعارةُ التّمثيلية تَتَفَرّعُ عن التشبيه المركب.

والبلغاء يَتَفَنَّنُون (يأتون بالفنون والطُّرُق المخلتفة في التّعبير) فيأتون مع الاستعارة بما يناسب معنى المستعار إغراقًا ومبالغة في الخيال، فيسمى ذلك ترشيحًا، وذلك نحو قول زُهيرٍ:

لَدَى أَسَدٍ شَاكِي السّلاحِ مُقَذَّفِ

لَهُ لِبَدٌ أَظْفَارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ

[٤] مضَّهُ _ُ مَضًّا: آلَمَهُ. والمُضَضُ: التّألُّم، يقال: فعلتُ هذا على مضضٍ: كارهًا متألِّمًا.

وكذا قول النّابغة:

وبنو سُواءَةَ، لا مَحَالَةَ أَنّهُمْ   آتوكَ، غيرَ مُقَلَّمي الأظفارِ ( )

وفي قول الشاعر: "بيد الشِّمال زمامها"، أن ريح الشمال تمسك بيدها زمامًا، فأُثْبِتَ اليدُ لريح الشِّمال الذي شُبِّه براكبٍ.

وقد يأتون مع الاستعارة بما يناسب المعنى المستعار له مبالغةً في الخيال أيضًا، بدعوى أن المشبّه قد اتّحَدَ بالمشبه به، فصار حقيقةً واحدةً، حتى أن الأسدَ يحملُ بيده سيفًا، في قوله: "لدى أسدٍ شاكي السّلاح"، ويسمُّون ذلك تجريدًا؛ لأنّ الاستعارة جُرِّدَتْ عن دعوى التشبيه إلى الحكم بالاتحاد والتشابه التّام، ويكون ذلك مع الاستعارة الْـمُصرّحة والمكنية(كما عَلمتَه في المصرّحة)

وأما الاستعارة المكنية فإنّ ما يُذكرُ من لوازم الْـمُشَبَّه به صالح أبدًا ليكونَ ترشيحًا، فكلٌّ من التجريد والترشيح إكمال للاستعارة وإغراق (مبالغة) في الخيال؛ ومن ثَمَّ لم يَمْتَنِعْ الجمعُ بينهما في كثير من كلامهم، كما في بيت زُهيرٍ المتقدَّم.

( ) ديوان النابغة: ص٣٩، وفيه:

وبنو قُعَينٍ، لا مَحَالَةَ أَنّهُمْ   آتوكَ، غيرَ مقلمي الأظفارِ

وبنُو سُواءَةَ زائرُوكَ بوفِدِهِمْ   جيشاً، يَقودُهُمُ أبو المِظفارِ

وهذا يُحَقِّقُ لكم أنّ كُلًّا من التّرشيح والتّجريد مشتمِلٌ على مبالغة في التشبيه.

وما يَجْرِيْ من التّرشيح والتّجريد في المجاز المفرد يجري في التمثيل والمجاز المركب، فمثال التجريد في التمثيل قوله تعالى: {مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا} إلى قوله { ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ} [البقرة : ١٧]

فإنّ في جَمْعِ الضمير مراعاةً للمشبّه لا للمشبه به، لأنه مفردٌ، ومثال الترشيح التمثيل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ} [التوبة : ٣٨]

فجملة {اثّاقلتم} لهيئتهم في التّنَصُّلِ[٤] من الخروج بهيئة الجسم الثقيل في صعوبة تَنَقُّله، وقوله {إلى الأرض} ترشيح.

٤ -الكناية:

تعريف الكناية: الكناية لغةً: هي ترك التصريح، من كَنَيْتُ بكذا عن كذا، واصطلاحًا: هي لفظٌ أُرِيدَ به ملزومُ معناه الوضعي مع جواز إرادة اللّازم، وبهذا القيد الآخر خالفت المجازَ المرسل الذي علاقتُه اللّزوم.

[٤] أي الامتناع والتكاسل.

والأصل في الكناية أنْ يُرادَ الملزوم مع لازمه، ويكون اللّازم هو المقصود الأول، فإنّ البَدَويّ إذا قال: فلانٌ جَبَانَ[4] الكلبِ ومَهزولُ الفصيل"، أراد أنّ كلبَه وفصيله كذلك، ومقصوده وصف الفلانيّ بالكرم، فإذا شاع ذلك صَحّ إطلاقُه، ولو لم يكن له كلبٌ ولا فصيلٌ، كما إذا قيل في وصفِ الحَضرِيّ: "فلانٌ جَبَان الكلب"، فإنّه يُقالُ لأجل كرَمه.

أنواع الكناية: وهي تنقسم إلى واضحةٍ وخَفِيَّةٍ.

فالكناية الواضحة: هي التي لاتحتاجُ إلى إعمال رويّةٍ، نحو قولهم: "طويلُ النّجاد"، كنايةً عن طول القامة، وقول العرب: "مثلُك لايفعلُ كذا" وغيرك لايفعل كذا" يريدون أنت لاتفعل كذا، قال تعالى:{وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْـمُؤْمِنِينَ}[النساء: ١١٥] أي لايَتّبعُ سبيلَ المؤمنين.

والكناية الخفية: هي التي تحتاج لإعمال رَوِيّةٍ، إما لخفاء اللّزوم، نحو "عريضُ القَفَا"، كناية عن الغَباوة، وإما لكثرةِ الوسائط، نحو "كثيرُ الرّماد" بمعنى كريم وسخيٍّ، لأنّ كثرةَ الرّماد دليلٌ على كثرة الضيوف، والكناية أقربُ إلى البلاغة من التّصريح.

[4] الجُبَانُ: بفتح الجين والباء: ضدّ الشُّجَاع. ج: جُبَناء.

٥-إيراد الكلام على خلاف مقتضى الظاهر:

اعلم أنّ البُلَغاءَ يتَفَنّنُون في كلامهم وتعبيرهم عما في ضمائرهم فيأتون فيه على خلاف ما يقتضيه الظّاهر الشائع بين أهل البلاغة، يَقْصِدون بذلك الخلافِ التّمليح والتّحسين في الكلام، أو يعتمدون على نُكَتٍ خفيّةٍ يقتضيها الحال، ولا يَتَفَطَّنُ لها السّامع، لو لم يُلْقَ إليه ما يخالف ظاهر الحال، فلا ينبغي أنْ يُعَدَّ في خلاف مقتضى الظاهر ما كان ناشئًا عن اختلاف الدّواعي والنُّكَتِ[٥] مع وضوح الاختلاف، كالوصل في مقام الفصل وعكسه لدفع الإيهام، وكذا الإطناب في مقام الإيجاز لاستصغاء السامع؛ لظهور نكتة ذلك.

وكذا لا يُعَدُّ ما كان ناشئًا عن علاقةٍ مجازية، كاستعمال الخبر في الإنشاء، ولا ماكان ناشئًا عن تـنْـزيل الشيء منْـزلة غيره مع وضوح المقتضى، لأنه من المجاز، كالقصر الادّعائي، وكعكس التشبيه، فتعيّن أن يُوضَح ذلك.

ونظائره مذكورة في مواضعها من أبوابه، وإن كان فيه رائحة مِنْ تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر من حيث أنّ الأصل خلافه، وأنّ الذهن لاينصرف إليه ابتداءً.

---

٥ [٤] النّكتة: النقطة. والفكرة اللطيفة المؤثّرة في النفس. والمسألة العلمية الدقيقة يتوصّل إليها بإمعان فكرٍ ونظر، ج: نُكَتٌ ونِكاتٌ.

وإنّما يُعَدّ من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظّاهر ما لم يكن ذلك الخلاف ناشئًا عن نكتة أصلا، وهذا لا يوصَفُ بموافقه مقتضى الحال ولا بمخالفته؛ لأنّ بينهما (بين الظاهر والحال) فرقًا.

وكذا يُعَدُّ منه ما كان ناشئًا عن نكتةٍ خفية لايتبادر للسامع إدراكها بسهولة، وهذا يُوصفُ بأنه مقتضى حالٍ، لكنه خفيٌّ غير ظاهر.

ثم تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر على نوعين:

ومن النوع الأول الالتفات والأسلوب الحكيم والقلب.

(١)أما الالتفات: فهو انتقال الكلام من طريق التّكلّم أو طريق الخطاب أوطريق الغيبة إلى آخر منها.

وهذا انتقال غير لازم في الاستعمال.

مثال الالتفات من الغيبة إلى الخطاب كما في قوله تعالى:{الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} إلى قوله{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ}[الفاتحة : ٢ – ٥]

فإنّ مقتضى الظّاهر أن يقولَ "إياه نعبدُ".وقوله تعالى :{وَاللهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ} [فاطر : ٩] فإنّ مقتضى الظاهر أن يقال: "فساقَه" بالضمير الغائب.

وله نُكَتٌ تَزيدُه حسنًا في الكلام، ولها بيان في الْـمُطَوّلات.

(٢)وأما الأسلوب الحكيم: فهو جواب من يُخاطِبُك بغير ما يريده وينتظره، أو جواب سائلك بغير ما يطلب عنك بأن تحمل كلامَ مخاطِبك (بكسر الطاء) على خلاف مراده، تنبيهًا على أنّ ذلك الغير هو أولى له بالقصد والسّؤال عنه،

كقول القبعثري للحَجّاج –وقد قال له الحجّاج متوَعِّدًا إيّاه-: لَأَحْمِلنّك على الأدهم"، يعني القيد، فقال له القبعثريُّ[٦]: "مثلُ الأمير يَحْمِلُ على الأدهم والأشهب". يعني الفرس.

ومنه قول القائل:

أَتَتْ تَشْتَكِيْ عندي مُزاولةَ القِرَى

وقد رَأَتْ الضِّيفان ينحَون منـزلي

فقلتُ كأني ما سمعتُ كلامَها

هم الضيف جِدِّي في قِراهم وعَجِّلِيْ

أي لم تكن الشّكاية لها مناسبةً.

[٦] واسمه: الغضبان بن القبعثري البكري، وقد دعا أنس رضي الله عنه لبستانه فلم يجاوز المطر قصر الغضبان. معجم البلدان(٤/ ٢٠٦، غ ض)

ومنه قوله تعالى:يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ [البقرة : ١٨٩] فسَأَلوا عن الأسباب الموجبة لاختلاف الأهلّة جِرْمًا ونورًا، وأُجِيْبُوا بأن المناسب لهم أنْ يسألوا عن فائدة الأهلة للنّاس لا عن أسباب اختلافها.

(٣)وأمّا القلب: فهو جعلُ أحدِ أجزاء الكلام فكانَ الآخر لغيرِ داعٍ معنَويٍّ، ومن غير تعقيدٍ ولا خطأٍ ولا لَبْسٍ وخلط في الكلام.

ويقصِدُه البُلَغاءُ تزيِيْنًا للكلام.

فمنه ما ليس بِمُطَّرد نحو: عرضتُ النّاقة على الحوض، (والأصل: عرضتُ الحوض على النّاقة) ونحو: أدخلتُ الخاتَمَ في إِصْبَعِيْ، (والأصل: أدْخَلْتُ الإصبعَ في الخاتم.

ومنه مُطّرد في الكلام كثيرٌ عندهم، حتّى صار أكثر من الأصل، نحو قولهم:"ماكاد يفعل كذا"، يريدون كاد مايفعل،

وعليه قوله تعالى: { وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ} [البقرة : ٧١] وقوله تعالى: { لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا} [النور : ٤٠]

ومنه التشبيه المقلوب: وعليه قول رُؤبة:

ومَهْمَهٍ مُغْبَرّةٍ أرجاؤُه كأنّ لونَ أرضه سماؤُه

وقد ظهر أن هذا النوع كله لاتقتضيه الحال، ولكنّه تمليح في الكلام.

والنوع الثاني: من تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر له نوعان: التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، والتّغليب.

(٤)أمّا التعبير عن المستقبل بلفظ الماضي:فللتنبه على تحقق وقوعه؛ لأنّ المستقبل مشكوك في حصوله، فإذا أردتَ أن تحقِّقَه عبَّرْتَ عنه بالماضي؛ إذ الماضي فِعْلٌ قد حَصَلَ، نحو قوله تعالى:{ وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ [النمل : ٨٧]

(٥)وأمّا التغليب: فهو إطلاق لفظ على مدلوله وغيره لمناسبة بين المدلول وذلك الغير، والدّاعي إليه إمّا الإيجازُ، فَيُغَلَّبُ أَخفُّ اللّفْظَيْنِ، نحو قولهم: الأَبوين: لتغليب الأب ، والعُمَرين: لتغليب عمر على أبي بكر[٤] رضي الله عنهما.

وإما لمراعاة أكثريّة استعمال لفظٍ أوصيغةٍ في الكلام، فَيُغَلِّبُ اللّفظُ الرّاجح أو الصيغة الراجحة على اللفظ المرجوح أو الصيغة المرجوحة، نحو قوله تعالى: {وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ} [التحريم : ١٢]

[٤] لفظًا فقط لا رتبةً.

وإمّا لتغليب جانب المعنى على اللفظ، نحو قوله تعالى: { بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ} [النمل : ٥٥] ولعلّ هذا (من بابِ) الالتفات.

التمارين

التمرين الأول: ١-عرّف البيان لغةً واصطلاحًا؟

٢-وماهي تلك الطّرُق المختلفة؟

٣-عرّف التشبيه ثم اشرح التعريف ومثّل له؟

٤-ماهي أركان التشبيه؟ وما هي أداته؟

٥-ما هو وجه الشِّبْه؟ وقدِّمْ بيتَ ابن شرف القيرواني؟

٦-عرّف "تشبيهَ التمثيلِ" واذكر طرفاه، وكم قسمًا لهما؟

التمرين الثاني: ١-كم قسمًا للمشبّه به؟ اذكر مثالا له؟

٢-وماهو التشبيه البليغ؟

٣-كيف تكون الاستعارة بالكناية؟

٤-عرّف الحقيقة والمجاز واذكر لهما مثالا؟

٥-وماهي الحقيقة العُرْفية؟ وَضِّحْها بالمثال؟

٦-اذكر تعريف القرينة وَاتِ لهما مثالًا؟

التمرين الثالث: ١-ماهي العلاقة وكم قسمًا لها؟

٢-ما هو أهمّ أنواعها؟

٣-عرّف المجاز المفرد وجِئْ له بالمثال؟

٤-اذكر محلّ ورود الاستعارة المفردة؟

٥-ماهي الاستعارة المصرحة والاستعارة المكنية؟

٦-اذكر لهما مثالا جاء به صاحب الكتاب؟

التمرين الرابع: ١-عرّف المجاز المركّب؟

٢-ما هو التّرشيح؟ والاستعارة المرشحة؟

٣-عرّف الاستعارة التَّجَرُّدية؟ واتِ بالمثال؟

٤-عرّف الكناية وبيّن أنواعها؟

٥-ماذا تعرف عن تخريج الكلام على خلاف مقتضى الظاهر؟

٦-بيّن الالتفات والأسلوب الحكيم؟

الفنُّ الثالثُ- البديع

ويُبْحَثُ في البديع عن الْـمُحَسّنات الزّائدة(في الكلام) على المطابقة لمقتضى الحال.

وتلك الْـمُحَسّنات إمّا راجعة إلى معنى الكلام المشتمل على لطائف مفهومة تُحَسِّنُ الكلام وتكسبه زيادة قبولٍ في ذهن المخاطب، وإما راجعة إلى لفظ الكلام باشتماله على لطائف مسموعة تُؤَنِّقُه، وتوجب له بهجة في سمع السامع.

وقد مرّ في "مقدمة" هذا الموجزِ أنّ فنّ البديع هو أوّل ما أُفْرِد بالتّأليف من فنون البلاغة، وأنّ مُدَوِّنَه هو عبدالله بن الْـمُعْتَزّ الخليفة العباسيِّ.

والْـمُحَسِّناتُ البديعية كثيرة لاتنحصرُ عَدًّا وابتكارًا، ويكفي للمبتدئِ أن يعرف مشهورَها من القسمين اللفظي والمعنويّ.

١-بعض الْـمُحَسِّنات المعنويّة:

(١)فمنه التجريد: وهو أن يُنتزع من أمرٍ ذي صفةٍ أمرًا آخر مثله في تلك الصّفة، انتزاعًا وهميًّا، حتى تصير الذّات الواحدة ذاتين مبالغةً لكمال الوصف

في تلك الذات، كقولهم: "لي منك صديقٌ حميمٌ"، وقولهم: "لئن سأَلْتَ فلانًا لَتَسْأَلنّ به بحرًا".

ومن هذا القبيل مخاطبة المرء نفسه وذلك كثير في الشعر، كقول النابغة[8] :

دعاك الهوى واسْتَجهلَتْكَ المنازل

وكيف تَصابِيُ المرءِ والشِّيب شامل

ومنه طالع قصيدة البردة البصرية:

"أمِنْ تذَكُّرِ جِيرانٍ من ذي سَلَمٍ".

(٢)ومنه المبالغة المقبولة: وهي ادّعاء بلوغ وصفٍ في شدّته أو ضعفه مبلغًا يَبْعُد ويستحيل وقوعه، وأصدقُها ما قَرَنَ بلفظ التّقريب، نحو قوله تعالى: { يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ} [النور : ٣٥]

ودونه ماعلّق على ما لايقع، كقول المتنبّئِ:

عَقّدت سنابكها عليه عِثيرًا (أي غبارًا)

لو تبتغي عَنَقًا (أي سيرًا سريعًا) عليه لأمكنا

[8] ديوان النابغة(ص ٦٤)الصِّبا: الحداثة والشوق، وتصابى: تَكَلَّف الصِّبا.

وما عدا ذلك يحسُنُ منه ما تَضَمّن تمليحًا، كقول المتنبئ:

كفي بجسمي نُحولًا إنّني رجل

لولا مخاطبتي إياكِ لم تَرَنِيْ

(٣)ومنه التورية: وهي أن يُذكر لفظٌ له معنيان: قريبٌ وبعيد، ويراد المعنى البعيد اعتمادًا على القرينة لقصد إيقاع السامع في الشّكّ والإيهام، والأولى أنْ يقال: هي أخذ المعنى البعيد وطرح المعنى القريب وراءك لقصد إيقاع السامع في الشك والإيهام.

لأن التوريةَ مأخوذة من الوراء، ولم تكن معروفًا في شعر العرب، إلا في قول لبيدٍ، يذكر قتلاهم ويُوَرّي بأبيه ربيعة قُتِلَ يوم ذي علق:

وَلا مِنْ رَبيعِ المقترينَ رُزِئْتُهُ

بذي عَلَقٍ فاقنيْ حياءَكِ واصْبرِي[٩] ٤

[٤]جعفر وكلاب أجداد لبيد، وربيعة أبوه، يقال لأبيه: ربيع المقترين لجوده وسخائه. والمقتر: الفقير. رُزِئْتُه: أُصِبْتُ بمصيبة موته. والرُّزءُ: المصيبة. وتمامه: ٩

فإمّا تَرَيِنِّي اليومَ عندكِ سالِماً فلستُ بأحْيا مِنْ كلابٍ وجعفرِ

وَلا مِنْ رَبيعِ المقترينَ رزئْتُهُ بذي علقٍ فاقنيْ حياءَكِ واصْبرِي

وقول عنترة[50]:

جَادَتْ عَلَيْهِ كُلُّ بِكْرٍ حُرَّةٍ فَتَرَكْنَ كُلَّ قَرَارَةٍ كالدّرْهَمِ

البِكرُ: السحابة السابق مطرُها، والحُرّة الخالصة من البَرْد، وقد اشتهر بالإبداع في هذا النّوع الغُرابُ الصفاقسيّ المتوفى ١١٨٣هـ، كما في قوله :

جُمِعتْ هوى ظَبْيٍ وقد كان جامعًا

لزيتٍ سَنةً مِنْ فوقِ أغصانِها التّوى

فيا جامعَ الزَّيتونة الفاتن الْوَرَى

تفضّل بمعروفٍ على جَامعِ الهَوَى[51]

[50] البَكر من السحاب: السابق المطر، والجمع الأبكار. الحُرَّة: الخالصة من البرد والريح. والحر من كل شيء: خالصه وجيِّده، يقول (في وصف روضةٍ يُشبِه طيبُ رائحتها بطيبِ نَكهة فم المحبوبة، وحسنُها بنضرتِها): مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا برد معها، أو كل مطر يدوم أيامًا ويكثر ماؤه حتى تركت كل حفرة كالدرهم، لاستدارتها بالماء وبياض مائها وصفائه. (شرح المعلقات للزوزني"معلقة عنترة" (ص ٢٤٩ برقم ١٦)

[51] ومعناه: أنّ ظَبْيًا تعلّقَ وجُمِعَ قلبُها بشجر الزَّيتون، ثم هو يخاطب ذلك الظّبْيَ ويُسَمِّيْها بـ "جامع الزيتونة" أي عاشق شجر الزّيتون، وهو المعنى البعيد، والمعنى القريب هو: المسجد الجامع المعروف في تونس باسم "جامع الزَّيتونة".

(٤)ومنه التلميح:(بتقديم اللّام على الميم) وهو الإشارة في الكلام إلى قصّةٍ أو مسألة علمية، أو شعر مشهور، كقول أبي تمامٍ:

فوالله ما أَدْرِيْ أَأَحْلامُ نائمٍ

أَلَـمَّتْ بنا؟ أم كان في الرَّكب يُوشع؟

يُشيرُ إلى القصة المذكورة في الإسرائيليات: أن الشمس رُدَّتْ ليوشع النّبيّ عليه السلام، وهو في بعض غزواته، لئلّا يدخل السّبْت.

وليست بقصةٍ إسرائيلية، لأن الإمام البخاريّ أخرَجها في "جامعه الصحيح"، وليس هناك ردّ الشمس، بل حَبَسها عن الغروب[1] فتذَكّر. وقولُ ابن الخطيب شاعر الأندلس:

---

[1]عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: غزا نبيٌّ من الأنبياء، فقال لقومه: لا يَتْبَعْنِيْ رجلٌ مَلَكَ بُضْعَ امرأةٍ وهو يُريد أَنْ يَبْنِيَ بها، فَغَزَا، فدَنا من القرية صلاةَ العصرِ(أي في وقت صلاة العصر) أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنكِ مأمورةٌ، وأنا مأمورٌ، اللهم احْبِسْهَا علينا، فَحُبِسَتْ حتى فتحَ اللهُ عليه.صحيح البخاري: كتاب الخمس: باب" أُحِلَّتْ لكم الغنائم"(٣/ ١١٣٦) برقم (٢٩٥٦)
عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إِنَّ الشّمسَ لَمْ تُحْبَسْ على بَشَرٍ إلاَّ لِيُوشَعَ لَيَالِيَ سَارَ إلى بَيْتِ الْمَقْدِسِ.مسند أحمد (٢/ ٣٢٥)برقم(٨٢٩٨) قال شعيب: إسناده صحيح على شرط البخاري.

ورَوَى النّعمانُ عن مّاء السّماء

كيف يَرْوي مالكٌ عن أنس

يشير الشّاعر إلى نسب النعمان (بن المنذر) ملك العرب، وإلى رواية الإمام مالك عن الصّحابيّ (أنس) مسقطًا الواسطة، وهو حديث مرسل، أي: أنّ شقائق النّعمان رَوَتْ[52] عن ماء السّماء بواسطة الأرض، وشقائق النعمان نوعٌ من الزَّهْرَة.

(٥)ومنه المشاكلة: وهي أنْ يَعْمِدَ الْـمُتَكَلّمُ إلى معنًى غير موجودٍ، فَيُقَدِّرُ موجودًا من جنس معنًى قابله به مقابلةَ الجزاء أو العوض ولو تقديرًا، كقوله تعالى: {يُخَادِعُونَ اللهَّ وَهُوَ خَادِعُهُمْ} [النساء : ١٤٢]

عبّر عن العِقاب بالخِدَاع لوقوعه جزاءًا عن الخِداع.

وقول أحمد بن محمد الأنطاكِيّ:

قالوا اقْتَرِحْ شيئًا نَجُدْ لك طبخَه قلتُ اطبخوا لي جبّةً وقميصًا

[52] والتورية في اختلاف المعنى في كلا الفعلين؛ لأن المصدر والباب واحد،(١)يقال: روى يروِيْ روايةً: استقى. وروى القومَ يَروِيْ روايةً استقى لهم.(٢)ويقال: روى الحديث يروِيْ روايةً. كلاهما مثل ضرب. وأما روِيَ يروى (كسمع يسمع) رَيًّا: فإنه بمعنى شرب وشبع.

عبّر عن صنع الجبّة والقميص بالطّبخ لوقوعه عِوضًا عن الطّبخ.

وقولي: "ولو تقديرًا": لإدخال المشاكلة التي لم يجتمع فيها لفظان، ولكن معنى أحد اللّفظين حاضر في الذهن، فَيُؤْتى باللّفظ المناسب للّفظ المقدّر، نحو قول أبي تمام:

مَنْ مُبْلِغٌ أفناءَ يَعْرِبَ كلَّهم أنّي بَنَيْتُ الجارَ قبلَ المنزل[٥٤]

(٦)ومنه تأكيد الشيء بما يشبه ضدّه: وهو تأكيد الشيء بما يُشْبِه ضدّه، حتّى يقع في خيال السّامع أنّ الكلام الأول قد انتقض، ولكن إذا تأمّله وجده زاد تأكيدًا، كقول النّابغة:

ولاعيبَ فيهم غير أنّ سيوفَهم

بهنّ فلولٌ من قِراع الكتائب

---

[٥٤] الأفناء: جماعة من الناس. قال أبوعبيد البكري في شرح كتاب الأمثال(١ / ٣٩٢): وجاءنا عن نبينا أنه قال: "الجارُ ثم الدَّار والرَّفيقُ قَبْلَ الطَّريق"،أي التمس الجار قبل الدّار والتمس الرّفيق قبل الطّريق، أخذه أبو تمام فقال يمدح (القاضي) أحمد بن أبي دُوَادٍ (الجهْمي عدوَّ الإمام أحمد)

بوَّأْتُ رَحْلي في المرادِ الْـمُقبِلِ ورَتَعْتُ في أَثَرِ الغَمَامِ المُسْبِلِ

مَنْ مُبْلِغٌ أَفْنَاءَ يَعْربَ كلَّها أني ابْتَنَيْتُ الجَارَ قبلَ المَنْزِلِ

ونحو قول الحريري:

ما فيه من عيب سوى أنّه   يوم النّدى قِسمتُه ضيزى

(٧)ومنه براعة الاستهلال: وهي اشتمال أول الكلام على ما يشير إلى المقصود منه، كقوله في طالع قصيدة الهَنَاء:

بُشرى فقد أَنْجَزَ الإقبالُ ما وعدا

وكوكبُ المجد في أُفُقِ العُلا صَعِدا

هذه هي المحَسّنات المعنوية، نكتفي بها إيجازًا.

٢-بعض الْـمُحَسِّنات اللّفظية:

(١)فمنه التجنيس: ويسمّى الجِناس، وهو تشابه اللفظين في النّطق مع اختلاف المعنى، وهو يوجد من القديم في كلام العرب، كما في المثل العربيّ القديم[55]:

هذا جَنَايَ وخياره فيه   إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه

وأمثلته في القرآن كثيرة[56].

[55] "جَنَايَ" من الجَنا" بمعنى الاقتناء والاقتطاف، و"جانٍ" من الجناية بمعنى الجريمة، قال الأزهريُّ الهرويّ:قال أَبو عبيد : يُضرَبُ هذا مثلاً للرجل يُؤثِرُ صاحبه بخيار ما عنده .وذكر ابن الكلبي أنَّ المثل لعمرو بن عَدِيٍّ اللّخْمِيّ ابن أخت جَذِيمَة (الْمَلِك) ، وأن جذيمة نزل منزلاً وأمَرَ الناسَ أن يَجتنُوا له الْكَمْأَةَ ، فكان بعضهم يَستأثر بخير ما يجد ، فعندها قال عمرو: هذا جنايَ إلخ. في تهذيب اللغة(١١/ ١٣٢)

قال أبو علي: هو شِعْر، وهو الصحيح، والجَنى:الرُّطَب. (الْمُخَصَّصُ"كتاب المقصور والممدود"(٤ / ٤٦٣)

[56] (١)ففي البقرة(٢٧٩) الجناس الناقص في {لَا تَظْلِمُون وَلَا تُظْلَمُونَ} لاختلاف حركات بعض الحروف (٢)و في النور آية (٤٣ و٤٤) الجناس التام بين{يذهب بالأبصار}و{للأولي الأبصار} المراد بالأولى العيون، وبالثانية الألباب والعقول (٣)في سورة النجم:الجناس التام بين{والنجم إذا هوى}و{ما ينطق عن الهوى} فالأول هَوَى

ومنه قول أبي تمام:

ما ماتَ مِنْ كَرَمِ الزّمان فإنّه يَحْيَى لدى "يحيى بن عبدالله"

وقول الحريريّ:

سِمْ سْمَةً تُحمَدْ آثارُها والشكر لِمَنْ أعطى ولو سِمْسَمَه

والمكرَ مهما استطعتَ لا تأتِهْ لِتَقْتَني السّودَدَ والْـمَكْرُمَة

فإن كان التشابه في غالب حروف اللّفظين فهو غير تمام كقوله تعالى: {وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا} [الكهف : ١٠٤]

(٢)ومنه القلب: ويسمّى الطَّرد والعكس، وهو أن يكون الكلام إذا ابتدأْتَه من حرفه الآخر، وذهَبْتَ كذلك إلى حرفه الأول يحصل منه عين ما يحصل من ابتدائه، كقول القاضي أحمد الأرَّجَانِيّ:

مودّته تدوم لكل هول وهل كلّ مودّته تدوم

فهذا البيت إذا ابتدأته من حرفه الآخر إلى حرفه الأول كان مثل ابتدائه من حرفه الأول.

بمعنى خَرَّ وسَقَطَ ، والثاني بمعنى هَوَى النَّفْسِ، سُمِّيَ تامًّا لاتفاق الحروف، وانظر صفوة التفاسير للصابوني، ورحمة الله على الصّابوني وأمثاله.

٣-ومنه الاقتباس والتّضمين: فالاقتباس هو: أخذ شيءٍ من القرآن أو كلام النّبُوّة (هو من القَبْسِ)

والتضمين: هو أخذ شيء من الشعر المشهور، ومزجُه مع الكلام نظمًا أو نثرًا، ولو مع اختلاف الغرَضين، أو مع تغييرٍ يسيرٍ.

فمن الاقتباس قول الحريري في المقامة الثانية:

"فلم يَكُنْ إلا كَلَمْحِ البَصَر، أو هو أقرب، حتّى أَنْشَدَ فأغرَب".

ومن التّضمين قول ضياء الدّين موسى في هجاء الرشيد عمر الفُوِّيِّ[٥٧]

وكان أصلع وأسنانه بارزة:

أقول لِمَعْشَرٍ جَهِلوا وغَضُّوا مَن الشيخ الرشيد؟ وأنكروه

هو ابن جلا وطلاع الثّنايا متى يَضَعُ العِمامَةَ تَعْرِفُوهُ[٥٨]

[٥٧]فُوَّةٌ: بالضم ثم التشديد: بُلَيْدَةٌ على شاطىء النِّيل من نواحي مصرَ، ذات أسواق ونخل كثير. معجم البلدان(٤ / ٢٨٠)

[٥٨]قال القزويني في الإيضاح(١/ ٣٨٥): (ويجوز في التّضمين) التغيير اليسير ليدخل في معنى الكلام، كقول (ضياء الدين موسى) إلخ البيت (الثاني) لسُحَيْم بن َثِيْلٍ، وأصله:

أنا ابن جَلا وطلّاعُ الثنايا متى أضع العمامة تعرفوني

ويجوز فيها التغيير اليسير كما في المراع الأخير المتقدم، وكقول أبي القاسم ابن الحسَن الكاتبيّ:

إن كنتَ أزْمَعْتَ على هجرِنا من غيرِ ما جُرْمٍ فصبرٌ جميلٌ

وإنْ تَبَدَّلْتَ بِنَا غيرَنا فَحَسْبُنا اللهُ ونعمَ الوكيل

أنا ابن جَلَا: أي أنا ابن المكشوف الأمر، المشهور غير المستور، الثنايا: جمع ثَنِيّة: الطريق في الجبل.

حسنُ الاتفاق

يقول إمام اللغة والبلاغة التّونسيّ الشيخ محمد طاهر ابن عاشور رحمه الله:

وهذا آخر ما أردتُ إملاءه في علم البلاغة، وأرى فيه للقانع من هذا العلم مَقْنَعَةً وبَلاغة، وكان تمامه في منتهى شهر رمضان، من عام ثلاثة وأربعين وثلاث مئة وألفٍ، بمرسى جرّاح أشهر بالمرسى، كتبه مؤلّفه محمد الطاهر بن عاشور.

ويقول التلميذ المستقي من ينابيع علومه محمد أنور البدخشاني: تمامُ هذا التّسهيل في اثنين وعشرين من شهر رمضان، من عام أربعة وثلاثين وأربع مئة وألف، كتبه مُسَهِّلُه البدخشاني بالمدينة المنورة، في خلال ثمانية عشر يومًا، تقبّل الله منه.

قال التلميذ المستنير من أنوار فنونه "محمد شريف" الراشد: وانتهيتُ من التنضيد والتعليق في منتصف شهر شعبان عام تسع وثلاثين وأربع مائة وألف ١٤٣٩هـ يوم الأربعاء في كراتشي.

والحمدُ لله ربّ العلمين

فهرس شرح الموجز في علوم البلاغة

الفنُّ الثّاني

الفن الثّالث– البديع